الفصل السابع

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ

دَلائِلُ النُّبُوَّةِ

تمهيد

الأنبياء الذين ابتعثهم الله إلى عباده يقولون للناس : نحن مرسلون من عند الله ، وعليكم أن تصدقونا فيما نخبركم به ، كما يجب عليكم أن تطيعونا بفعل ما نأمركم به ، وترك ما ننهاكم عنه ، وقد أخبر الله في سورة الشعراء أنَّ نوحاً خاطب قومه قائلاً : ﴿ **أَلَا تَتَّقُونَ إِنِّي لَكُمْ رَسُولٌ أَمِينٌ ، فَاتَّقُوا اللَّهَ وَأَطِيعُونِ** ﴾ « سورة الشعراء /١٠٦ ـ ١٠٨ » . وبهذا القول نفسه خاطب رسل الله : هود ، وصالح ، ولوط ، وشعيب ، أقوامهم ، بل هي مقالة ودعوة كل رسول لقومه .

فإذا كان الأمر كذلك فلا بدَّ أن يقيم الله الدلائل والحجج والبراهين المبينة ، صدق الرسل في دعواهم أنهم رسل الله ؛ كي تقوم الحجّة على الناس ، ولا يبقى لأحد عذر في عدم تصديقهم وطاعتهم ﴿ **لَقَدْ أَرْسَلْنَا رُسُلَنَا بِالْبَيِّنَاتِ** ﴾ « سورة الحديد/٢٥ » أي بالدلائل والآيات البينات التي تدلُّ على صدقهم .

تنوع الدلائل

أفراد الأدلة الدالة على صدق كل رسول كثيرة متنوعة ، وقد عدّ الذين ألّفُوا في دلائل نبوة نبينا محمد ـ أدلة صدقه فنافت على الألف عند بعضهم ، ويمكننا أن نقسم هذه الأدلة إلى أقسام ، يضمُّ كل قسم منها مجموعة متشابهة ، وقد أرجعنا أفراد الأدلة إلى خمسة أمور :

الأول : الآيات والمعجزات التي يجريها الله تصديقا لرسله .

الثاني : بشارة الأنبياء السابقين بالأنبياء اللاحقين .

الثالث : النظر في أحوال الأنبياء .

الرابع : النظر في دعوة الرسل .

الخامس : نصر الله وتأييده لهم .

وسنتناول كلَّ واحد من هذه الخمسة بشيء من الإيضاح والتفصيل .

اوّلا : الآياتُ وَالمُعجـزات

الآية ـ في لغة العرب ـ العلامة الدالة على الشيء ؛ والمراد بها هنا : ما يجريه الله على أيدي رسله وأنبيائه من أمور خارقة للسنن الكونية المعتادة التي لا قدرة للبشر على الإتيان بمثلها ، كتحويل العصا إلى أفعى تتحرك وتسعى ، فتكون هذه الآية الخارقة للسنة الكونية المعتادة دليلا غير قابل للنقض والإبطال ، يدلُّ على صدقهم فيما جاءوا به .

تعريف الآية والمعجزة

تتابع العلماء على تسمية هذه الآيات بالمعجزات ، والمعجزة ـ في اللغة ـ اسم فاعل مأخوذ من العجز الذي هو زوال القدرة عن الإتيان بالشيء من عمل أو رأي أو تدبير[1] .

ويعرّف الفخر الرازي المعجزة في العرف : بأنّها أمر خارق للعادة ، مقرون بالتحدي ، سالم عن المعارضة[2] .

ويعرفها ابن حمدان الحنبلي بأنّها ما خرق العادة من قول أو فعل إذا وافق دعوى الرسالة وقارنها وطابقها على جهة التحدي ابتداءً بحيث لا يقدر أحدٌ على مثلها ، ولا على ما يقاربها[3] .

---

(١) بصائر ذوي التميز ١/٦٥

(٢) لوامع الأنوار البهية ٢/٢٨٩ ـ ٢٩٠ .

(٣) المصدر السابق .

وعلى ذلك فإنَّ الأمور التالية لا تعدّ من باب المعجزات :

١ ـ الخوارق التي تعطى للأنبياء وليس مقصودا بها التحدي ، كنبع الماء من بين أصابع الرسول ﷺ ، وتكثيره الطعام القليل ، وتسبيح الحصا في كفّه ، وإتيان الشجر إليه ، وحنين الجذع إليه ، وما أشبه ذلك .

٢ ـ الخوارق التي أعطاها الله لغير الأنبياء ويسميها المتأخرون كرامات . والذين فرقوا هذا التفريق هم العلماء المتأخرون ، أمّا المعجزة في اللغة وفي عرف العلماء المتقدمين كالامام أحمد فإنّها تشمل ذلك كله[1] .

وقد أطلقنا عليها اسم « الآية » كما جاء بذلك القرآن الكريم ، وهو اسم شاملٌ لكل ما أعطاه الله لأنبيائه للدلالة على صدقهم سواءً أقصد به التحدي أم لم يقصد .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٣١١/١١ ، ولوامع الأنوار البهية ٢٩٠/٢ .

أنواع الآيات

إذا استقرأنا الآيات والمعجزات التي أعطاها الله لرسله وأنبيائه نجدها تندرج تحت ثلاثة أمور : العلم ، والقدرة ، والغنى[1] .

فالإخبار بالمغيبات الماضية والآتية ، كإخبار عيسى قومه بما يأكلونه وما يدخرونه في بيوتهم ، وإخبار رسولنا ـ ﷺ ـ بأخبار الأمم السابقة ، وإخباره بالفتن وأشراط الساعة التي ستأتي في المستقبل ـ كل ذلك من باب العلم .

وتحويل العصا أفعى ، وإبراء الأكمه والأبرص ، وإحياء الموتى ، وشقّ القمر وما أشبه هذا ـ من باب القدرة .

وعصمة الله لرسوله ﷺ من الناس ، وحمايته له ممن أراد به سوءاً ، ومواصلته للصيام مع عدم تأثير ذلك على حيويته ونشاطه من باب الغنى .

وهذه الأمور الثلاثة : العلم ، والقدرة ، والغنى ، التي ترجع إليها المعجزات لا ينبغي أن تكون على وجه الكمال إلّا لله تعالى ، ولذلك أمر الله رسوله ﷺ بالبراءة من دعوى هذه الأمور ﴿ **قُلْ لَا أَقُولُ لَكُمْ عِنْدِي خَزَائِنُ اللَّهِ ، وَلَا أَعْلَمُ الْغَيْبَ ، وَلَا أَقُولُ لَكُمْ إِنِّي مَلَكٌ ، إِنْ أَتَّبِعُ إِلَّا مَا يُوحَى إِلَيَّ** ﴾ « سورة الأنعام/ ٥٠ » .

---

(١) مجموع فتاوي شيخ الإسلام ٣١٢/١١ ـ ٣١٣ .

فالرسول ﷺ يبرأ من دعوى علم الغيب ، وملك خزائن الأرض ، ومن كونه ملكا مستغنيا عن الطعام والشراب والمال . والرسل ينالون من هذه الثلاثة المخالفة للعادة المطردة ، أو لعادة أغلب الناس بقدر ما يعطيهم الله تعالى ، فيعلمون من الله ما علمهم إيّاه ، ويقدرون على ما أقدرهم عليه ، ويستغنون بما أغناهم به .

أمثلة من آيات الرسل

١ ـ آية نبي الله صالح

دعا صالح قومه إلى عبادة الله الواحد الأحد ﴿ **وَلَقَدْ أَرْسَلْنَا إِلَى ثَمُودَ أَخَاهُمْ صَالِحاً أَنِ اعْبُدُوا اللهَ** ﴾ « سورة النمل /٤٥ » فكذبوه وطلبوا منه آية تدلّ على صدقه ﴿ **قَالُوا إِنَّمَا أَنْتَ مِنَ الْمُسَحَّرِينَ ، مَا أَنْتَ إِلاّ بَشَرٌ مِثْلُنَا فَأْتِ بِآيَةٍ إِنْ كُنْتَ مِنَ الصَّادِقِينَ** ﴾ « سورة الشعراء/ ١٥٣ ـ ١٥٤ » .

يقول ابن كثير : « ذكر المفسرون أنَّ ثمود اجتمعوا يوما في ناديهم ، فجاءَهم رسول الله صالح ، فدعاهم إلى الله ، وذكّرهم ، وحذّرهم ، ووعظهم ، وأمرهم ، فقالوا له : إن أنت أخرجت لنا من هذه الصخرة ـ وأشاروا إلى صخرة هناك ـ ناقة ، من صفتها كيت وكيت ، وذكروا أوصافا سموها ، ونعتوها ، وتعنتوا فيها ، وأن تكون عشراء طويلة ، من صفتها كذا وكذا ، فقال لهم نبيهم صالح عليه السلام : أرأيتم إن أجبتكم إلى ما سألتم على الوجه الذي طلبتم أتؤمنون بما جئت به ، وتصدقوني بما أرسلت به ؟ قالوا : نعم ، فأخذ عهودهم ومواثيقهم على ذلك ، ثمَّ قام إلى مصلاه فصلّى لله ـ عزَّ وجلَّ ـ ما قدّر له ، ثمَّ دعا ربَّه ـ عزَّ وجلَّ ـ أن يجيبهم إلى ما طلبوا ، فأمر الله عزَّ وجلَّ تلك الصخرة أن تنفطر عن ناقة عظيمة عشراء على الوجه الذي طلبوا ، أو على الصفة التي نعتوا ، فلما عاينوها كذلك رأوا أمرا عظيما ، ومنظرا هائلا ، وقدرة باهرة ، ودليلا قاطعا ، وبرهانا ساطعا ، فآمن كثير منهم ، واستمرَّ أكثرهم على كفرهم [١] وقد ذكر الله استجابته

---

(١) البداية والنهاية ١/١٣٤ .

لطلبهم الآية ﴿ قَالَ هَذِهِ نَاقَةٌ لَهَا شِرْبٌ وَلَكُمْ شِرْبُ يَوْمٍ مَعْلُومٍ ﴾ ، « سورة الشعراء/١٥٥ » ﴿ قَدْ جَاءَتْكُمْ بَيِّنَةٌ مِنْ رَبِّكُمْ ، هَذِهِ نَاقَةُ اللَّهِ لَكُمْ آيَةً ، فَذَرُوهَا تَأْكُلُ فِي أَرْضِ اللَّهِ وَلَا تَمَسُّوهَا بِسُوءٍ ﴾ « سورة الأعراف/٧٣ » ، وقد أخبر الله أنها كانت آية واضحة بينة لا خفاء فيها ، ولذا سماها مبصرة ﴿ وَآتَيْنَا ثَمُودَ النَّاقَةَ مُبْصِرَةً ﴾ « سورة الاسراء/ ٥٩ » .

٢ ـ معجزة إبراهيم عليه السلام

حطّم إبراهيم آلهة قومه التي كانوا يعبدونها ، فأشعلوا له النار ، ورموه فيها ، فأمر الله ـ جلّ وعلا ـ النّار ألاّ تصيبه بأذى ﴿ **قَالُوا : حَرِّقُوهُ ، وَانْصُرُوا آلِهَتَكُمْ إِنْ كُنْتُمْ فاعِلِينَ ، قُلْنَا : يَا نَارُ كُونِي بَرْداً وَسَلاَماً عَلَى إِبْرَاهِيمَ ، وَأَرَادُوا بِهِ كَيْداً فَجَعَلْنَاهُمُ الأَخْسَرِينَ** ﴾ . « سورة الأنبياء/٦٨ ـ ٧٠ » .

ومن الآيات التي أجراها على يد إبراهيم إحياء الموتى ، وقد قَصّ الله علينا خبر ذلك : ﴿ **وَإِذْ قَالَ إِبْراهِيمُ رَبِّ أَرِنِي كَيْفَ تُحْيِي الْمَوْتَى ، قَالَ : أَوَلَمْ تُؤْمِنْ قَالَ : بَلَى ، وَلَكِنْ لِيَطْمَئِنَّ قَلْبِي ، قَالَ فَخُذْ أَرْبَعَةً مِنَ الطَّيْرِ فَصُرْهُنَّ إِلَيْكَ ثُمَّ اجْعَلْ عَلَى كُلِّ جَبَلٍ مِنْهُنَّ جُزْءاً ، ثُمَّ ادْعُهُنَّ يَأْتِينَكَ سَعْيَاً** ﴾ « سورة البقرة/ ٢٦٠ » .

فأمره بذبح هذه الطيور ، ثم تقطيعها ، وتفريقها على عدة جبال ، ثمَّ دعاها فلبت النداء ، واجتمعت الأجزاء المتفرقة ، والتحمت كما كانت من قبل ، ودبت فيها الحياة ، وطارت محلقة في الفضاء فسبحان الله ما أعظم شأنه ، وأجلَّ قدرته .

٣ ـ آيات نبي الله موسى عليه السلام

أعطى الله موسى تسع آيات بينات ﴿ وَلَقَدْ آتَيْنَا مُوسَى تِسْعَ آياتٍ بَيِّنَاتٍ ﴾ « سورة الإسراء/ ١٠١ » .

١ ـ وأعظم هذه الآيات وأكبَرها العصا التي كانت تتحول إلى حيَّة عظيمة عندما يلقيها على الأرض ﴿ وَمَا تِلْكَ بِيَمِينِكَ يَا مُوسَى ؟ قَالَ : هِيَ عَصَايَ ، أَتَوَكَّأُ عَلَيْهَا ، وَأَهُشُّ بِهَا عَلَى غَنَمِي ، وَلِيَ فِيهَا مَآرِبُ أُخْرَى ، قَالَ : أَلْقِهَا يَا مُوسَى ، فَأَلْقَاهَا ، فَإِذَا هِيَ حَيَّةٌ ، تَسْعَى ، قَالَ : خُذْهَا وَلَا تَخَفْ سَنُعِيدُهَا سِيرَتَهَا الأُولَى ﴾ « سورة طه/١٧ ـ ٢١ » .

وكان من شأن هذه العصا أن ابتلعت عشرات من الحبال والعصيّ التي جاء بها سحرة فرعون ليغالبوا موسى ، ﴿ قَالُوا : يَا مُوسَى إِمَّا أَنْ تُلْقِيَ وَإِمَّا أَنْ نَكُونَ أَوَّلَ مَنْ أَلْقَى ، قَالَ : بَلْ أَلْقُوا ، فَإِذَا حِبَالُهُمْ وَعِصِيُّهُمْ يُخَيَّلُ إِلَيْهِ مِنْ سِحْرِهِمْ أَنَّهَا تَسْعَى ، فَأَوْجَسَ فِي نَفْسِهِ خِيفَةً مُوسَى ، قُلْنَا : لَا تَخَفْ إِنَّكَ أَنْتَ الْأَعْلَى ، وَأَلْقِ مَا فِي يَمِينِكَ تَلْقَفْ مَا صَنَعُوا إِنَّما صَنَعُوا كَيْدُ سَاحِرٍ ، وَلَا يُفْلِحُ السَّاحِرُ حَيْثُ أَتَى ﴾ . « سورة طه/٦٥ ـ ٦٩ » .

وعندما عاين السحرة ما فعلته حيَّة موسى ، علموا أنَّ هذا ليس من صنع البشر ، إنّما هو من صنع الله خالق البشر ، فلم يتمالكوا أن خروا أمام الجموع ساجدين لله ربِّ العالمين ﴿ فَأُلْقِيَ السَّحَرَةُ سُجَّداً قَالُوا : آمَنَّا بِرَبِّ هَارُونَ وَمُوسَى ﴾ . « سورة طه/ ٧٠ » .

٢ ـ ومن الآيات التي أرسل بها موسى ما ذكره الله في قوله : ﴿ وَاضْمُمْ يَدَكَ إِلَى جَنَاحِكَ تَخْرُجْ بَيْضَاءَ مِنْ غَيْرِ سُوءٍ آيَةً أُخْرَى ﴾ « سورة طه/٢٢ » ، كان يدخل يده في جيبه (درع قميصه) ، ثمَّ ينزعها ، فإذا هي تتلألأ كالقمر بياضا من غير سوء ، أي من غير برص ، ولا بهق .

وذكر الله سبع آيات في سورة الأعراف ، فقد ذكر الله أنه أصابهم :

٣ ـ بالسنين ، وهي ما أصابهم من الجدب والقحط ، بسبب قلة مياه النيل ، وانحباس المطر عن أرض مصر .

٤ ـ نقص الثمرات ذلك أن الأرض تمنع خيرها ، وما يخرج يصاب بالآفات والجوائح .

٥ ـ الطوفان الذي يتلف المزارع ويهدم المدن والقرى .

٦ ـ الجراد الذي لا يدع خضراء ولا يابسة .

٧ ـ القمّل ، حشرة تؤذي الناس في أجسادهم .

٨ ـ الضفادع التي نغصت عليهم عيشتهم لكثرتها .

٩ ـ الدم الذي يصيب طعامهم وشرابهم .

﴿ وَلَقَدْ أَخَذْنَا آلَ فِرْعَوْنَ بِالسِّنِينَ وَنَقْصٍ مِنَ الثَّمَرَاتِ لَعَلَّهُمْ يَذَّكَّرُونَ ، فَإِذَا جَاءَتْهُمُ الْحَسَنَةُ قَالُوا : لَنَا هَذِهِ ، وَإِنْ تُصِبْهُمْ سَيِّئَةٌ يَطَّيَّرُوا بِمُوسَى وَمَنْ مَعَهُ ، أَلَا إِنَّمَا طَائِرُهُمْ عِنْدَ اللَّهِ ،وَلَكِنَّ أَكْثَرَهُمْ لَا يَعْلَمُونَ ، وَقَالُوا مَهْمَا تَأْتِنَا بِهِ مِنْ آيَةٍ لِتَسْحَرَنَا بِهَا فَمَا نَحْنُ لَكَ بِمُؤْمِنِينَ ، فَأَرْسَلْنَا عَلَيْهِمُ الطُّوفَانَ وَالْجَرَادَ وَالْقُمَّلَ وَالضَّفَادِعَ وَالدَّمَ آيَاتٍ مُفَصَّلَاتٍ ، فَاسْتَكْبَرُوا وَكَانُوا قَوْمًا مُجْرِمِينَ ﴾ « سورة الأعراف/ ١٣٠ ـ ١٣٣ » .

آيات أخرى :

هذه الآيات التسع التي أرسل بها موسى إلى فرعون ، وإلّا فالآيات التي أجراها الله على يد موسى أكثر من ذلك ، فمن ذلك ضرب موسى البحر بعصاه وانفلاقه ، ومن هذا ضربه الحجر فينفلق عن اثنتي عشرة عينا ، وإنزال المن والسلوى على بني إسرائيل في صحراء سيناء ، وغير ذلك من الآيات .

٤ ـ معجزات نبي الله عيسى عليه السلام

من معجزاته التي أخبرنا الله بها أنّه كان يصنع من الطين ما يشبه الطيور ثمَّ ينفخ فيها فتصبح طيورا بإذن الله وقدرته ، ويمسح الأكمه فيبرأ بإذن الله ، ويمسح الأبرص فيذهب الله عنه برصه ، ويمرُّ على الموتى فيناديهم فيحييهم الله تعالى ، وقد حكى القرآن لنا هذا في قوله تعالى مخاطبا عيسى : ﴿ **وَإِذْ تَخْلُقُ مِنَ الطِّينِ كَهَيْئَةِ الطَّيْرِ بِإِذْنِي ، فَتَنْفُخُ فِيهَا ، فَتَكُون طَيْراً بِإِذْنِي ، وَتُبْرِئُ الْأَكْمَهَ والْأَبْرَصَ بِإِذْنِي ، وَإِذْ تُخْرِجُ الْمَوْتَى بِإِذْنِي** ﴾ « سورة المائدة/ ١١٠ » .

ومن آياته تلك المائدة التي أنزلها الله من السماء عندما طلب الحواريون من عيسى إنزالها ، وكانت على الحال التي طلبها عيسى عيداً لأولهم وآخرهم ﴿ **إِذْ قَالَ الْحَوارِيّونَ يَا عِيسَى بْنَ مَرْيَمَ ، هَـلْ يَسْتَطِيعُ رَبُّكَ أَنْ يُنَزِّلَ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، قَالَ : اتَّقُوا اللّهَ إِنْ كُنْتُمْ مُؤْمِنِينَ ، قَالُوا نُرِيدُ أَنْ نَأْكُلَ مِنْهَا وَتَطْمَئِنَّ قُلُوبُنَا ، وَنَعْلَمَ أَنْ قَدْ صَدَقْتَنَا ، وَنَكُونَ عَلَيْهَا مِنَ الشَّاهِدِينَ ، قَالَ عِيسَى بْنُ مَرْيَمَ : اللَّهُمَّ رَبَّنَا ، أَنْزِلْ عَلَيْنَا مَائِدَةً مِنَ السَّمَاءِ ، تَكُونُ لَنَا عِيداً لِأَوَّلِنَا وَآخِرِنَا ، وَآيَةً مِنْكَ ، وَارْزُقْنَا ، وَأَنْتَ خَيْرُ الرَّازِقِينَ ، قَالَ اللّهُ : إِنِّي مُنَزِّلُهَا عَلَيْكُمْ فَمَنْ يَكْفُرْ بَعْدُ مِنْكُمْ ، فَإِنِّي أُعذِّبُهُ عَذَاباً لَا أُعَذِّبُهُ أَحَداً مِنَ الْعَالَمِينَ** ﴾ « سورة المائدة/١١٢ ـ ١١٥ » .

٥ ـ آيات خاتم الأنبياء والمرسلين
صلوات الله وسلامه عليه

أجرى الله على يد نبيينا محمد ﷺ ـ معجزات باهرات ، وآيات مبصرات ، إذا نظر فيها مريد الحقّ ، دلّته على أنها شهادة صادقة من الله لرسوله ﷺ ، وقد عدّها بعض العلماء فنافت على ألف معجزة ، وقد ألفت فيها مؤلفات ، وتناولها علماء التوحيد والتفسير والحديث والتاريخ بالشرح والبيان .

الآية العظمى

وأعظم الآيات التي أعطيها رسولنا ﷺ ، بل أعظم آيات الرسل كلهّم ـ القرآن الكريم ، والكتاب المبين ، وهو آية تخاطب النفوس والعقول ، آية باقية دائمة الى يوم الدين ، لا يطرأ عليها التغيير ولا التبديل ﴿ **وَإنّه لَكِتَابٌ عَزِيزٌ ، لاَ يأْتِيهِ البَاطِلُ مِنْ بَيْنِ يَدَيْهِ وَلاَ مِنْ خَلْفِه ، تَنْزِيلٌ من حَكِيمٍ حَمِيدٍ** ﴾ « سورة فصلت /٤١ - ٤٢ ».

وقد تحدى الله بهذا الكتاب فصحاء العرب ، وقد كانت الفصاحة والبلاغة وجودة القول هي بضاعة العرب التي نبغت بها ، وقد عادى العرب دعوة الإسلام ورسول الإسلام ، وكان مقتل هذه الدعوى أن يعارض فصحاؤ هم هذا الكتاب ، ويأتوا بشيء من مثله ، ولكنهم عجزوا عن ذلك ﴿ **وإنْ كُنْتُمْ فِي رَيْبٍ مِمَّا نَزَّلْنا عَلَى عَبْدِنَا فَأْتُوا بِسُورَةٍ مِنْ مِثْلِهِ وَادْعوا شُهَدَاءَكُمْ مِن دُونِ اللهِ إن كُنْتُمْ صَادِقِين ، فإنْ لم تَفْعَلُوا وَلَنْ تَفْعَلُوا ، فَاتَّقُوا النَّارَ الَّتِي وَقودُهَا النَّاسُ والحِجَارَةُ أُعِدَّتْ لِلْكَافِرِينَ** ﴾ « سورة البقرة/٢٣ - ٢٤ » .

نمط فريد من المعجزات

شاء الله تعالى أن تكون معجزة محمد ﷺ نمطا مخالفا لمعجزات الرسل ، وكان الله قادرا على أن ينزل معجزة حِسيّة تذهل من يَراها : ﴿ إِنْ نَشَأْ نُنَزِّلْ عَلَيهِمْ مِنَ السَّمَاءِ آيَةً فَظَلَّتْ أَعْنَاقُهُمْ لها خاضِعِينَ ﴾ « سورة الشعراء/ ٤ » . فلو شاء الله تعالى لأنزل من السماء آية قاهرة لا يملكون معها جدالا ، ولا انصرافا عن الإيمان ، ويصور خضوعهم لهذه الآية في صورة حسيّة : ﴿ فَظَلَّت أَعْنَاقُهُمْ لَهَا خَاضِعِينَ ﴾ « سورة الشعراء/ ٤ » ملويّة محنيّة ، حتى لكأنَّ هذه هيئة لهم لا تفارقهم ، فهم عليها مقيمون . ولكنه ـ سبحانه ـ شاء أن يجعل معجزة هذه الرسالة الأخيرة آية غير قاهرة ، لقد جعل آيتها القرآن ، منهاج حياة كاملة ، معجزا في كلٍّ ناحية :

معجزا في بنائه التعبيري ، وتنسيقه الفني ، باستقامته على خصائص واحدة ، في مستوى واحد ، لا يختلف ولا يتفاوت ، ولا تتخلف خصائصه ، كما هي الحال في أعمال البشر ، إذ يبدو الارتفاع والانخفاض والقوة والضعف في عمل الفرد الواحد ، المتغير الحالات ، بينما تستقيم خصائص هذا القرآن التعبيرية على نسق واحد ، ومستوى واحد ، ثابت لا يتخلف ، يدلُّ على مصدره الذي لا تختلف عليه الأحوال .

معجزا في بنائه الفكري ، وتناسق أجزائه وتكاملها ، فلا فلتة فيه ولا مصادفة ، كل توجيهاته وتشريعاته تلتقى وتتناسق وتتكامل ، وتحيط بالحياة البشرية ، وتستوعبها ، وتلبيها وتدفعها ، دون أن تتعارض جزئية واحدة من ذلك المنهج الشامل الضخم مع جزئية أخرى ، ودون أن تصطدم واحدة منها بالفطرة الإنسانية ، إذ تقصر عن تلبيتها . . وكلها مشدودة إلى محور واحد ، في اتساق لا يمكن أن تفطن إليه خبرة الإنسان المحدودة ، ولا بد أن تكون هناك خبرة مطلقة ، غير مقيدة بقيود الزمان والمكان ، هي التي أحاطت به هذه الاحاطة ، ونظمته هذا التنظيم .

معجزا في يسر مداخله الى القلوب والنفوس ، ولمس مفاتيحها ، وفتح

مغاليقها ، واستجاشة مواضع التأثر والاستجابة فيها ، وعلاجه لعقدها ومشكلاتها في بساطة ويسر عجيبين ، وفي تربيتها وتصريفها وفق منهجه بأيسر اللمسات ، دون تعقيد ولا التواء ولا مغالطة .

لقد شاء الله أن يجعل هذا القرآن هو معجزة هذه الرسالة ـ ولم يشاء أن ينزل آية قاهرة مادّية تلوي الأعناق وتخضعها وتضطرها إلى التسليم ـ ذلك أنَّ هذه الرسالة الأخيرة رسالة مفتوحة إلى الامم كلّها ، وللأجيال كلّها ، وليست رسالة مغلقة على أهل زمان أو أهل مكان ، فناسب أن تكون معجزتها مفتوحة كذلك للبعيد والقريب ، لكلِّ أمّة ولكل جيل ، والخوارق القاهرة لا تلوي إلّا أعناق من يشاهدونها ، ثمَّ تبقى بعد ذلك قصّة تروى ، لا واقعا يشهد . . فأمّا القرآن فها هو ذا بعد أكثر من ثلاثة عشر قرنا كتاب مفتوح ومنهج مرسوم ، يستمدُّ منه أهل هذا الزمان ما يقوم حياتهم ـ لو هدوا إلى اتخاذه إمامهم ـ ويلبي حاجاتهم كاملة ، ويقودهم بعدها إلى عالم أفضل ، وأفق أعلى ، ومصير أمثل ، وسيجد فيه من بعدنا كثيرا مما لم نجده نحن ، ذلك أنه يعطي كل طالب بقدر حاجته ، ويبقى رصيده لا ينفد ، بل يتجدد[1] .

---

(١) راجع في ظلال القرآن ١٩/٢٥٨٤ .

الإسراء والمعراج

من الآيات البينات والمعجزات الخارقات إسراء الله بنبيّه من المسجد الحرام إلى المسجد الأقصى حيث جمع الله له الأنبياء فصلّى بهم إماما ﴿ سُبْحَانَ الَّذِي أَسْرَى بِعَبْدِه لَيْلاً مِنَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ إلى الْمَسْجِدِ الأَقْصَى الَّذِي بَارَكْنَا حَوْلَهُ لِنُرِيَهُ مِنْ آياتنا . . ﴾ « سورة الإسراء/١ » ، ومن هناك عرج به إلى السموات العلا ، وهناك رأى من آيات ربّه الكبرى ، رأى جبريل على صورته الحقيقية التي خلقه الله عليها ، وصعد به إلى سدرة المنتهى ، وجاوز السبع الطباق وكلّمه الرحمن وقربه ﴿أَفَتُمَارُونَهُ عَلَى مَا يَرَى ، وَلَقَدْ رآه نَزْلَة أُخْرَى عِنْدَ سِدْرَةِ الْمُنْتَهى ، عِنْدها جَنَّةُ الْمأْوَى ، إِذْ يَغْشَى السِّدْرَةَ مَا يَغْشَى ، مَا زَاغَ الْبَصَرُ وَمَا طَغَى ، لَقَدْ رَأى مِن آيَاتِ رَبِّهِ الْكُبْرى﴾ « سورة النجم/١٢ - ١٨ » .

وقد استعظمت قريش دعوى رسول الله - ﷺ - فقد كانت القوافل تمضي الأسابيع في الذهاب الى بيت المقدس والعودة منها ، فكيف يتسنى لرجل أن يمضي ويعود في جزء من ليلة ! ذلك أمر عجيب ، وهو حقّاً عجيب ، ولكن العجب يتلاشى إذا علمنا أنَّ الذي أسرى به هو الله تعالى ، والله على كلّ شيء قدير .

انشقاق القمر

ومن معجزاته ﷺ انشقاق القمر ، فقد سأل أهل مكة الرسول ـ ﷺ ـ آية ، فانشق القمر شقين ، حتى رأوا حراء بينهما ، وقد كان القمر عند انشقاقه بدرا .

وقد سجّل الله ذكر هذه الآية في كتابه ، فقال : ﴿ **اقْتَرَبَتِ السَّاعَةُ ، وَانْشَقَّ الْقَمَرُ ، وَإِنْ يَرَوْا آيَةً يُعْرِضُوا وَيَقُولُوا سِحْرٌ مُسْتَمِرٌ** ﴾« سورة القمر/١ ـ ٢ » .

وينقل ابن كثير اجماع المسلمين على وقوع هذه الآية ، كما يذكر أنّه قد وردت الأحاديث بذكر انشقاق القمر متواترة من طرق متعددة تفيد القطع[١] .

وقد شاهد هذه المعجزة الناس في أنحاء الجزيرة العربية ، فإنَّ أهل مكة لم يصدقوا ، وقالوا : سحرنا محمد ، ثمَّ استدركوا قائلين : انظروا ما يأتيكم به السفار ، فإنَّ محمدا لا يستطيع أن يسحر الناس كلَّهم ، وفي اليوم التالي سألوا من وفد إليهم ، من خارج مكّة ، فأخبروا أنَّهم قد رأوه .

وقد شاهد الناس انشقاقه في خارج الجزيرة العربية ، يقول ابن كثير : « شوهد انشقاقه في كثير من بقاع الارض ، ويقال : إنّه أرخ ذلك في بعض بلاد الهند ، وبنى بناء في تلك الليلة ، وأرخ بليلة انشقاق القمر »[٢] .

---

(١) البداية والنهاية ٣/١١٨ .

(٢) البداية والنهاية ٣/١٢٠ .

قد يقال « إن انشقاق القمر ليس شيئا مستحيلا ، فالعلم قد شاهد انشقاق مذنب بروكس » شقين سنة ١٨٨٩ م ، وكذلك انقسام مذنب « بيلا » إلى جزئين سنة ١٨٤٦ م ، كما ذكر الفلكي « سبنسر جونز » في فصل المذنبات والشهب من كتاب « عوالم بلا نهاية »[١] .

وفي الاجابة يقال : « الفرق بين انشقاق القمر وانشقاق هذين المذنبين أنهما لم يلتئما بعد الانشقاق ، والقمر التأم ، وهو الفرق المنتظر بين الظاهرة الفلكية في الفطرة والمعجزة الفلكية على يد رسول ، لأنَّ المعجزة مؤقتة تزول بزوال وقتها وتحقق الغرض منها ، ولو استمرت لكانت ظاهرة طبيعية صرفة ، ولخرجت عن دائرة المعجزات »[٢].

---

(١) المصدر السابق ١٣٠ .

(٢) المصدر السابق ١٣١ .

تكثيره الطعام صلوات الله وسلامه عليه

وقد وقع هذا منه ﷺ أكثر من مرة ، فمن ذلك ما رواه أنس ، قال : قال أبو طلحة لأمِّ سليم ، لقد سمعت صوت رسول الله ـ ﷺ ـ ضعيفا ، أعرف فيه الجوع ، فهل عندك من شيء ؟ فقالت : نعم ، فأخرجت أقراصا من شعير ، ثمَّ أخرجت خمارا لها فلفت الخبز ببعضه ، ثمَّ دسته تحت يدي ، ولاثتني[1] ببعضه ، ثمَّ أرسلتني إلى رسول الله ﷺ ، فذهبت به ، فوجدت رسول الله ـ ﷺ ـ في المسجد والناس معه ، فقمت عليهم ، فقال لي رسول الله ﷺ : « أرسلك أبو طلحة » ؟ قلت : نعم ، قال : « بطعام » ؟ قلت : نعم ، فقال رسول الله ـ ﷺ ـ لمن معه : « قوموا » فانطلق ، وانطلقت بين أيديهم حتى جئت أبا طلحة ، فأخبرته ، فقال أبو طلحة : يا أمَّ سليم ، قد جاء رسول الله ـ ﷺ ـ بالنّاس ، وليس عندنا ما نطعمهم ، فقالت : الله ورسوله أعلم .

فانطلق أبو طلحة حتى لقي رسول الله ﷺ ، فأقبل رسول الله ـ ﷺ ـ وأبو طلحة معه ، فقال رسول الله ﷺ : « هلمي يا أمَّ سليم ، ما عندك » ؟ فأتت بذلك الخبز ، فأمر به رسول الله ﷺ ، ففت ، وعصرت أم سليم عكة ، فأدَمَتْهُ ، ثم قال رسول الله ـ ﷺ ـ فيه ما شاء الله أن يقول ، ثمَّ قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم ، فأكلوا ، حتى شبعوا ، ثمَّ قال : « ائذن لعشرة » فأذن لهم ، فأكلوا ، حتى شبعوا ، ثمَّ خرجوا ، ثمَّ قال : « ائذن لعشرة » ، فأذن لهم ، فأكلوا حتى شبعوا ،

---

(١) لاثتني : أي لفت عليّ بعض الخمار عمامة .

ثمَّ خرجوا ، ثمَّ قال : « ائذن لعشرة » فأكل القوم كلهم ، وشبعوا ، والقوم سبعون أو ثمانون رجلا » متفق عليه[1] .

خبر جابر بن عبد الله :

ومن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله قال : انكفأت إلى امرأتي [في يوم الخندق] فقلت : هل عندك شيء ! فإني رأيت بالنبيّ ﷺ خمصا « جوعا » شديدا ، فأخرجت جرابا فيه صاع من شعير ، ولنا بهمة داجن « سمينة » فذبحتها ، وطحنت الشعير ، حتى جعلنا اللحم في البرمة ، (القدر) ثم جئت النبي ـ ﷺ ـ فساررته ، فقلت : يا رسول الله ذبحنا بهيمة لنا ، وطحنت صاعا من شعير ، فتعال أنت ونفر معك ، فصاح النبيُّ ﷺ : « يا أهل الخندق ، إنَّ جابرا صنع سُورا « طعاماً » فحي هلا بكم » .

فقال رسول الله ﷺ : « لا تنزلنَّ برمتكم ، ولا تخبزن عجينكم حتى أجيء ، وجاء ، فأخرجت له عجينا ، فبصق فيه ، وبارك (دعا بالبركة فيه) ثمَّ عمد إلى برمتنا ، فبصق ، وبارك ، ثمَّ قال : ادعي خابزة ، فلتخبز معك ، واقدحي « اغرفي » من برمتكم ، ولا تنزلوها ، وهم ألف ، فأقسم بالله لأكلوا حتى تركوه وانحرفوا ، وإن برمتنا لتغِطّ « تفور وتغلي » كما هي ، وإنَّ عجيننا ليخبز كما هو » متفق عليه[2] .

---

(١) مشكاة المصابيح (١٨٢/٣) .

(٢) مشكاة المصابيح (١٦٨/٣) .

تكثيره الماء ونبعه من بين أصابعه الشريفة

وقد وقع من هذا شيء كثير من الرسول ﷺ ، نذكر طرفا منه ، فمن ذلك ما رواه جابر بن عبد الله ، قال عطش الناس يوم الحديبية ، ورسول الله ﷺ بين يديه رَكوة (ظرف للماء) فتوضأ منها ، ثمَّ أقبل الناس نحوه ، قالوا : ليس عندنا ماء نتوضأ به ، ونشرب إلا ما في ركوتك ، فوضع النبي ـ ﷺ ـ يده في الركوة ، فجعل الماء يفور من بين أصابعه كأمثال العيون ، قال : فشربنا ، وتوضأنا . قيل لجابر : كم كنتم ؟ قال لو كنّا مائة ألف لكفانا ، كنا خمس عشرة مائة » متفق عليه[1] .

ومن ذلك تكثيره ماء بئر الحديبية في يوم الحديبية ، فقد روى البراء بن عازب قال : كنّا مع رسول الله ﷺ أربع عشرة مائةٍ يوم الحديبية ، والحديبية بئر ، فنزحناها ، فلم نترك فيها قطرة ، فبلغ النبيّ ﷺ ، فأتاها . فجلس على شفيرها (طرفها) ، ثمَّ دعا بإناء من ماء ، فتوضأ ، ثمَّ مضمض ، ودعا ، ثمَّ صبّه ، فيها ، ثم قال : « دعوها ساعة » ، فأرووا أنفسهم وركابهم ، حتى ارتحلوا » رواه البخاري[2] .

وعن عبد الله بن مسعود قال : كنّا نعدُّ الآيات بركة ، وأنتم تعدونها تخويفاً ، كنّا مع النبيّ ﷺ في سفر فقلَّ الماء فقال : « اطلبوا فضلة من ماءٍ » فجاءوا بإناء فيه قليل من الماء ، فأدخل يده في الإناء ، ثمَّ قال : « حيَّ على الطَّهور المبارك ، والبركة من الله » ولقد رأيت الماء ينبع من بين أصابع رسول الله ﷺ ، ولقد كنّا نسمع تسبيح الطعام وهو يأكل » رواه البخاري .

---

(١) انظر مشكاة المصابيح (٣/١٧٠) .

(٢) مشكاة المصابيح (٣/١٧٠) .

كف الأعداء عنه

فمن ذلك استجابة الله دعاء نبيه ـ ﷺ ـ عندما كان مهاجرا ، وأدركه سراقة بن مالك ، فارتطمت بسراقة فرسه إلى بطنها في أرض صلبة ، فقال سراقة : إني أراكما قد دعوتما عليَّ ، فادعوا لي ، فالله لكما أن أردّ عنكما الطلب ، فدعا له النبي ـ ﷺ ـ فنجا ، فجعل لا يلقى أحدا إلّا قال : كفيتم ، ما ههنا ، فلا يلقى أحدا إلّا ردّه . متفق عليه[1] .

وفي معركة حنين انهزم المسلمون وثبت الرسول ـ ﷺ ـ وقلّة من المؤمنين أولئك الذين بايعوا تحت الشجرة ، فلّما حمى الوطيس ، أخذ صلوات الله وسلامه عليه حصيات ، فرمى بهنَّ وجوه الكفار ، ثمَّ قال : « انهزموا وربِّ محمد » يقول العباس راوي الحديث : فوالله ما هو إلّا أن رماهم بحصياته ، فما زلت أرى حدّهم كليلا ، وأمرهم مدبرا . رواه مسلم[2] .

وفي رواية سلمة بن الأكوع ، قال : غزونا مع رسول الله ﷺحنيناً ، فولّى صحابة رسول الله ﷺ ، فلما غشوا رسول الله ﷺ نزل عن البغلة ، ثمَّ قبض قبضة من تراب الأرض ، ثمَّ استقبل به وجوههم ، فقال : « شاهت الوجوه » ، فما خلق الله منهم إنسانا إلّا ملأ الله عينيه ترابا بتلك القبضة ، فولوا مدبرين ، فهزمهم الله ، وقسم رسول ـ ﷺ ـ غنائمهم بين المسلمين » رواه مسلم[3] .

---

(١) مشكاة المصابيح (١٦٦/٣) .

(٢) مشكاة المصابيح (١٧٢/٣) .

(٣) المصدر السابق .

ومن ذلك أن أبا جهل حلف باللات والعزى أنه لو رأى الرسول ﷺ يصلي في المسجد حيث مجامع قريش أن يطأ على رقبته ، أو ليعفرن وجهه في التراب ، فلما رأى الرسول ـ ﷺ ـ ساجدا ، أراد أن يفعل ما أقسم عليه ، فلما اقترب منه « مافجأهم منه إلا وهو ينكص على عقبيه ، ويتقي بيديه ، فقيل له : مالك ؟ فقال : إنَّ بيني وبينه لخندقا من نار وهولا وأجنحة » .

فقال رسول الله ﷺ : « لو دنا مني لأختطفته الملائكة عضوا عضوا » رواه مسلم[1] .

---

(١) جامع الأصول (١٢/٩٤) .

اجابة دعوته[1]

اهتداء أم أبي هريرة بدعوة الرسول ﷺ :

عن أبي هريرة قال : كنت أدعو أميَّ إلى الإسلام وهي مشركة ، فدعوتها يوما ، فأسمعتني في رسول الله ﷺ ما أكره ، فأتيت رسول الله ـ ﷺ ـ وأنا أبكي ، قلت : يارسول الله ادع الله أن يهدي أمَّ أبي هريرة ، فقال : « اللهمَّ اهد أم أبي هريرة » فخرجت مستبشرا بدعوة النبي ـ ﷺ ـ فلمّا صرت على الباب فإذا هو مجاف[2]،فسمعت أمّي خشف قدمي ، فقالت : مكانك يا أبا هريرة ، وسمعت خضخضة[3] الماء ، فاغتسلت ، فلبست درعها ، وعجلت عن خمارها ، ففتحت الباب ، ثمَّ قالت : يا أبا هريرة : أشهد أنْ لا إله إلاّ الله ، وأشهد أنَّ محمدا عبده ورسوله ، فرجعت إلى رسول الله ، وأنا أبكي من الفرح ، فحمد الله وقال خيراً[4] .

---

(١) انظر هذه النصوص في كتاب معجزات المصطفى لخير الدين وانلي ص ٦١ .

(٢) مردود .

(٣) تحريك .

(٤) رواه مسلم .

أصبح بدعوته فارسا :

عن جرير بن عبد الله قال : قالَ لي رسول الله ﷺ « ألا تريحني[1] من ذي الخَلَصةِ[2] ؟ » فقلتُ : بلى . وكنتُ لا أثبت على الخيلِ فذكرتُ ذلكَ للنبيِّ ﷺ ، فضربَ يدَه على صدري حتى رأيتُ أثرَ يدهِ في صدري وقال : « اللهمَّ ثبتْه واجعلْه هادياً مهديّاً » قال : فما وقعتُ عن فرسي بعدُ ، فانطلقَ في مائةٍ وخمسين فارساً من أحمس[3] فحرَقَها[4] بالنارِ وكسرَها[5] .

وعن أنس قال : أصابتِ الناسَ سنةٌ على عهدِ رسولِ الله ﷺ فبينا النبيُّ ﷺ يخطبُ في يومِ الجمعةِ قام أعرابيٌّ فقالَ : يا رسولَ الله هلَكَ المالُ ، وجاعَ العيالُ فادعُ اللّهَ لنا . فرفعَ يديْهِ وما نرى في السماءِ قَزَعةً[6] فوالذي نفسي بيدهِ ما وضعَها حتى ثارَ السحابُ أمثالَ الجبالِ ، ثم لم ينزلْ عن منبرهِ حتى رأيتُ المطرَ يتحادَرُ على لحيتهِ ، فمُطِرْنا يومَنا ذلك ، ومن الغدِ ، ومن بعدِ الغدِ حتى الجمعةِ الأخرى ، وقامَ ذلكَ الأعرابي ـ أو غيرهُ ـ فقالَ : يا رسولَ الله تهدَّمَ البناء وغرقَ المالُ فادعُ الله لنا . فرفعَ يديْه فقال : «اللهم حوالَيْنا ولا علينا » فما يُشيرُ الى ناحيةٍ من السحاب إلا انجابت وصارتْ المدينةُ[7] مثلَ الجوبةِ[8] وسال وادي قناة شهراً ولم يجيءْ أحدٌ من ناحيةٍ إلا حدّثَ بالجَوْدِ .

وفي رواية قال :«اللهم حوالَيْنا ولا علينا اللهمَ على الآكامِ والظِرابِ[9] وبطونِ الأوديةِ ومنابتِ الشجرِ » قال : فأقلعتْ وخرجنا نمشي في الشمسِ[10].

---

(١) تخلصني .

(٢) بيت لطاغية خثعم وكان يدعى كعبة اليمامة .

(٣) اي من قوم قريش . والاحمس الشجاع .

(٤) اي كعبة اليمامة

(٥) متفق عليه .

(٦) قطعة من السحاب .

(٧) اي جوها .

(٨) الفرجة في السحاب .

(٩) الروابي

(١٠)متفق عليه .

أصابت الدعوة يد مستكبر

وعن سلمة بن الأكوع أنَّ رجلاً أكلَ عندَ رسولِ الله ﷺ بشمالِهِ فقال : « كُل بيمينك » قال : لا أستطيعُ . قال : « لا استَطعْتَ » ما مَنَعَه إلا الكبْرُ . قالَ[1] : فما رفعَها إلى فيهِ[2] .

بركة دعوة الرسول ﷺ تصيب بعير جابر :

وعن جابرٍ قال : غزوتُ مع رسولِ الله ﷺ وأنا على ناضحٍ[3] قد أعيَى ، فلا يكادُ يسيرُ فتلاحَقَ[4] بيَ النبيُّ ﷺ فقال : « ما لبعيرِكَ ؟ » قلتُ قد عَيي ، فتخلفَ رسولُ الله ﷺ فزجرَه فدعا له ، فما زال بينَ يدي الابلِ قدّامها يسيرُ . فقال لي : « كيف تَرى بعيرَكَ ؟ » قلتُ : بخيرٍ قد أصابتْه بركتُك . قال : « أفتبيعنيه بوقيةٍ ؟ » فبعتُه على أنَّ لي فقارَ ظهرِه[5] إلى المدينةِ . فلما قدمَ رسولُ الله ﷺ المدينةَ غدوتُ عليه بالبعيرِ فأعطاني ثمنَه وردَّه عليّ[6] .

---

(١) اي سلمة .

(٢) رواه مسلم

(٣) بعير يستقي عليه .

(٤) لحق

(٥) اي ركوب ظهره .

(٦) متفق عليه .

إبراء المرضى[1]

إبراؤه من كسرت رجله :

عن البراء قال : بعثَ النبيُّ ﷺ رهْطاً إلى أبي رافعٍ[2] فدخل عليه عبدُ الله بنُ عتيكٍ بيتَه ليلاً وهو نائمٌ فقتلَه فقالَ عبدُ الله بنُ عتيك : فوضعتُ السيفَ في بطنهِ حتى أخذَ في ظهرِه فعرفتُ أني قتلتُهُ فرجعتُ أفتحُ الأبوابَ حتى انهيتُ إلى درجةٍ فوضعتُ رجلي فوقعتْ في ليلة مقمرةٍ فانكسرتْ ساقي ، فعصبتُها بعمامةٍ فانطلقتُ إلى أصحابي فانتهيتُ إلى النبيِّ ﷺ فحدثتهُ فقالَ : ابسطْ رجلَكَ فبسطتُ رجلي فمسَحها فكأنما لم أشتكِها قَطُّ[3] .

إبراؤه عين علي بن أبي طالب :

وعن سهلِ بن سعدٍ أن رسولَ الله ﷺ قالَ يومَ خيبر : لأُعطينَ هذه الراية غداً رجلاً يفتحُ الله على يديْه ، يحبُّ اللهَ ورسولَه ويحبُّه الله ورسولُهُ » فلما أصبحَ الناسُ غَدوا على رسولِ الله ﷺ كلُّهم يرجو أنْ يُعطاها فقال : « أَين عليُّ بنُ أبي طالبٍ ؟ » فقالوا : هو يا رسول الله يشتكي عينيْه ، قال : « فأرسلوا إليه » فأُتيَ به فَبصقَ رسول الله في عينيه فَبَرَأَ حتى كأنْ لم يكنْ بهِ وجعٌ ، فأعطاهُ الرايةَ فقال عليٌّ : يا رسولَ الله أقاتلُهم حتى يكونوا مثلَنا ؟ قال : « انفُذْ على رسلك[4] حتى

---

(١) راجع معجزات المصطفى لخير الدين وانلي .

(٢) اليهودي وكان أعدى أعداء رسول الله ﷺ وقد نبذ عهده وتعرض له بالهجاء .

(٣) رواه البخاري .

(٤) اي امضِ على رفقك ولينك .

تنزلَ بساحتِهم ثم ادعُهم إلى الاسلامِ وأخبرهم بما يجبُ عليهم من حقِّ الله فيه ، فوالله لأنْ يهديَ اللّهُ بكَ رجلاً واحداً خيرٌ لك منْ أنْ يكونَ لكَ حمرُ النَّعَمِ[1] .

ساق سلمة بن الأكوع :

وعن يزيد بن أبي عبيدٍ قال : رأيتُ أثرَ ضربةٍ في ساقِ سلمةَ بنِ الأكوعِ فقلتُ : يا أبا مسلمٍ ما هذه الضربةُ ؟ قال : ضربةٌ أصابتني يومَ خيبر فقالَ الناسُ : أصيبَ سلمةُ فأتيتُ النبيَّ ﷺ فنفثَ فيه ثلاثَ نفثاتٍ فما اشتكيتُها حتى الساعةِ[2] .

إخراجه الجن من المصروع :

وعن يعلى بن مرة الثقفي قال :

سرْنا مع رسولِ الله ﷺ فمررنا بماءٍ فأتتهُ امرأةٌ بابنٍ لها به جنةٌ فأخذَ النبيُّ ﷺ بمنخرِهِ ثم قال : « اخرجْ فإني محمدٌ رسولُ اللّهِ » ثم سرْنا فلما رجعنا مررْنا بذلك الماء فسألَها عن الصبيِّ فقالتْ : والذي بعثَكَ بالحقِّ ما رأيْنا منه ريْباً بعدكَ[3] .

---

(١) متفق عليه .

(٢) رواه البخاري .

(٣) رواه في شرح السنة ورواه الامام أحمد في مسنده (١٧٢/٤) بسند صحيح كما في المشكاة (١٨٨/٣) بتحقيق شيخنا محمد ناصر الدين الألباني .

إخباره بالأمور الغيبية

فمن ذلك إخباره عن الله تعالى وأسمائه وصفاته وأفعاله ، وإخباره عن الملائكة وصفاتهم ، واخباره عن عالم الجن ، وعن الجنّة والنار ، ومن ذلك اخباره عن الحوادث التي وقعت ، كما أخبر عن آدم ونوح وهود وصالح وإبراهيم وموسى وعيسى وغيرهم من الأنبياء والرسل ، وما جرى بينهم وبين أقوامهم ، وهو حديث فيه تفصيل وبيان ، ومثل هذا لا يتأتى من رجل أميّ لم يكن كاتبا ولا قارئا ، ولم يخالط الذين درسوا تاريخ الأمم وعرفوا أخبارها ، ثمّ هو يأتي بأخبار لم يبلغها علم الأمم ، وأخبار يكتمها علماء أهل الكتاب ، ويصحح لهم كثيرا مما عندهم ، وكل ذلك دليل على أنّه إنما جاء بهذه العلوم من العليم الخبير ، ﴿تِلْكَ مِنْ أَنْبَاءِ الْغَيْبِ نُوحِيها إِلَيْكَ مَا كُنْتَ تَعْلَمُهَا أَنْتَ وَلَا قَوْمُكَ﴾ « سورة هود/٤٩ » .

وقد أشار القرآن إلى هذا الدليل في عدة مواضع ، فمن ذلك قوله في سياق قصة مريم ﴿وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يُلْقُونَ أَقْلَامَهُمْ أَيُّهُمْ يَكْفُلُ مَرْيَمَ وَمَا كُنْتَ لَدَيْهِمْ إِذْ يَخْتَصِمُونَ﴾ « سورة آل عمران/٤٤ » .

وفي سياق قصة موسى ، قال : ﴿وَمَا كُنتَ بِجَانِبِ الطُّورِ إِذْ نَادَيْنَا وَلَكِنْ رَحْمَةً مِنْ رَبِّكَ لِتُنْذِرَ قَوْماً مَا أَتَاهُمَ مِنْ نَذِيرٍ مِنْ قَبْلِكَ لَعَلَّهُمْ يَتَذَكَّرُونَ﴾ « سورة القصص/٤٦ » .

وقد كان يخبر الأخبار المغيبة التي وقعت في حينها ، فقد أخبر باستشهاد قادة المسلمين الثلاثة في معركة مؤتة وباستلام خالد بن الوليد الراية من بعدهم في

اليوم الذي وقع فيه الحدث ، رواه البخاري[1] .

وعندما توفي النجاشي أخبر بوفاته في نفس اليوم ، وكذلك عندما توفي كسرى .

ومن ذلك اخباره بالغيوب المستقبلية ، وبعض هذه الأخبار كان يقع ويتحقق في الحال أو بعد فترة وجيزه .

فمن ذلك أنّه أخبر بالمواضع التي سيصرع فيها صناديد الكفر قبل وقوع معركة بدر ، عن أنس رضي الله عنه ، قال : « فندب رسول الله ﷺ الناس ، فانطلقوا حتى نزلوا بدرا ، فقال رسول الله ﷺ : « هذا مصرع فلان » ويضع يده على الأرض ههنا وههنا ، قال : فما ماط (أي ما بعد ، وما تجاوز) أحدهم عن موضع يد رسول الله ﷺ ، رواه مسلم[2] .

ومن هذه الغيوب التي أخبر بها ما وقع بعد وفاته ، فمن ذلك ما رواه أبو هريرة رضي الله عنه قال : قال رسول الله ﷺ : « إذا هلك كسرى فلا كسرى بعده ، وإذا هلك قيصر فلا قيصر بعده ، والذي نفسي بيده لتنفقن كنوزهما في سبيل الله » رواه البخاري ومسلم والترمذي[3] . وقد وقع الأمر كما أخبر صلوات الله وسلامه عليه .

وقد أكثر الرسول ـ ﷺ ـ من الإخبار مما سيقع في مقبل الزمان ، قال حذيفة ابن اليمان : قام فينا رسول الله ﷺ مقاما ، فما ترك شيئا يكون من قيامه ذلك إلى قيام الساعة إلا حدّثه ، حفظه من حفظه ونسيه من نسيه ، قد علمه أصحابي هؤلاء ، وإنه ليكون منه الشيء قد نسيته ، فأراه فأذكره ، كما يذكر الرجل وجه الرجل إذا غاب عنه ، ثم إذا رآه عرفه » رواه البخاري ومسلم وأبو داود[4].

ومن ذلك ما أخبر به من الفتن وأشراط الساعة وغير ذلك ، وقد تكفلت بذكرها كتب الحديث .

---

(١) مشكاة المصابيح (١٧٢/١)

(٢) مشكاة المصابيح (١٦٧/٣)

(٣) جامع الأصول (٥٩/١٢)

(٤) جامع الأصول (٦٣/١٢)

حنين الجذع

في صحيح البخاري وغيره « كان رسول الله ﷺ يخطب إلى جذع فلما اتخذ المنبر تحوّل إليه ، فحنّ الجذع ، فأتاه فمسح عليه » وفي رواية عند البخاري أيضا « فلما وضع المنبر : سمعنا للجذع مثل صوت العشار ، حتى نزل رسول الله ﷺ فوضع يده عليه »[1] .

---

(١) جامع الأصول (٦٨/١٢)

انقياد الشجر وتسليمه وكلامه[1]

عن جابر قال : سرْنا مع رسولِ اللهِ ﷺ حتى نزلنا وادياً أفيحَ [2]، فذهبَ رسولُ الله ﷺ يقضي حاجتَه فلم ير شيئاً يستَتِرُ به ، وإذا شجرتين[3] بشاطِىءِ الوادي فانطلقَ رسولُ الله ﷺ إلى إحداهما فأخذَ بغصنٍ من أغصانِها فقال : « انقادي عليَّ بإذنِ اللهِ » فانقادتْ معه كالبعيرِ المخشوشِ [4] الذي يصانعُ قائدَه ، حتى أتى الشجرةَ الأُخرى فأخذَ بغصنٍ من أغصانِها فقال : « انقادي عليَّ بإذنِ الله » فانقادتْ معه كذلك ، حتى إذا كان بالمنصَفِ[5] مما بينهما قالَ : « التئما عليَّ بإذن الله » فالتأمتا ، فجلستُ أحدثُ نفسي فحانتْ مني لفتةٌ فإذا برسولِ الله ﷺ مقبلاً ، وإذا بالشجرتينِ قد افترقتا فقامت كل واحدةٍ منهما على ساقٍ[6] .

وعن يَعلى بن مُرةَ الثقفيِّ قال :

سرْنا مع رسولِ الله ﷺ حتى نزلنا منزلاً فنامَ النبيُّ ﷺ فجاءتْ شجرةٌ تشقُّ الأرضَ حتى غشيتْه ثم رجعتْ إلى مكانِها ، فلما استيقظَ رسولُ الله ﷺ ذكرتُ له

---

(١) من كتاب معجزات المصطفى ص ٨٤ .

(٢) واسع

(٣) اي فوجد شجرتين .

(٤) هو الذي في أنفه الخشاش وهو عويدة تجعل في أنف البعير ليكون أسرع انقيادا .

(٥) الموضع الوسط

(٦) رواه مسلم .

فقال : هي شجرةٌ استأذنتْ ربَّها في أنْ تسلِّمَ على رسولِ الله ﷺ فأُذِنَ لها[1].

وعن أنس قال : جاءَ جبريلُ إلى النبي ﷺ وهو جالسٌ حزينٌ قد تخضَّبَ بالدم من فعلِ أهلِ مكةَ فقال يا رسولَ اللهِ هل تحبُّ أن نريكَ آيةً ؟ قال : نعمْ . فنظرَ إلى شجرةٍ من ورائِه فقال : ادعُ بها . فدعا بها فجاءتْ فقامتْ بين يديْه فقال : مرْها فلترجِع فأمرها فرجعَتْ . فقالَ رسول الله ﷺ : « حسبي حسبي ».[2]

وعن ابن عباس قال : جاء أعرابي إلى رسول الله ﷺ فقالَ : بمَ أعرفُ انكَ نبيٌّ ؟ قال : « إن دعوتُ هذا العذَقَ[3] من هذه النخلةِ يشهدُ أني رسولُ الله » . فدعاه رسولُ الله ﷺ فجعلَ ينزلُ من النخلةِ حتى سقطَ إلى النبي ﷺ ثم قال : « ارجعْ » فعادَ ، فأسلم الأعرابي[4] .

وعن حق بنِ عبد الرحمن قال سمعتُ أبي قال : سألتُ مسروقاً: مَنْ آذن[5] النبيَّ ﷺ بالجنِّ ليلةَ استمعوا القرآن قال : حدثني أبوكَ ـ يعني عَبد الله بن مسعود ـ أنه قال : آذَنَتْ بهم شجرةٌ[6].

وعن ابنِ عمرَ قال : كنا مع النبيِّ ﷺ في سفرٍ فأقبلَ أعرابيٌّ فلما دنا قالَ له رسولُ الله ﷺ : تشهدُ أنْ لا إلهَ إلا اللهُ وحدَهُ لا شريكَ له وأنَّ محمداً عبدُه ورسولُه ؟ قالَ : ومنْ يشهدُ على ما تقولُ ؟ قال : هذه السَّلَمةُ[7] فدعاها رسولُ اللهِ ﷺ وهو بشاطيءِ الوادي فأقبلَتْ تخدُّ[8] الأرض حتى قامت بين يديْه فاستشهدَها ثلاثاً فشهدَت ثلاثاً أنه كما قال ثم رجعتْ إلى منبتها.[9] .

---

(١) رواه في شرح السنة ورواه أيضاً أحمد وسنده ضعيف لكن له شاهد من حديث جابر رواه الدارمي (١/ ١٠) فالقصة صحيحة كما قال شيخنا الألباني في التعليق على المشكاة (١٨٨/٣)

(٢) رواه الدارمي وإسناده صحيح كما في المشكاة (١٨٨/٣)

(٣) العنقود .

(٤) رواه الترمذي وصححه .

(٥) اي اعلم .

(٦) متفق عليه .

(٧) شجرة من أشجار البادية .

(٨) تشق .

(٩) رواه الدارمي واسناده صحيح كما قال شيخنا محمد ناصر الدين الألباني في تحقيقه لمشكاة المصابيح (١٨٩/٣) .

تسليم الحجر

عن جابر بن سَمُرَةَ قالَ قالَ رسولُ الله ﷺ :

إني لأعرفُ حجراً بمكةَ كانَ يسلمُ عليَّ قبلَ أنْ أبعثَ إني لأعرفُهُ الآنَ[1] .

شكوى البعير

عن يعلى بن مرة الثقفي قال :

« بينا نحنُ نسيرُ معَ رسولِ اللهِ ﷺ إذ مرَرْنا ببعيرٍ يُسْنَى[2] عليه ، فلما رآهُ البعيرُ جَرْجَرَ[3] فوَضعَ جرانَه[4] فوقفَ عليه النبيُّ ﷺ فقال أين صاحبُ هذا البعير ؟ فجاءه فقال : « بِعْنِيهِ » فقال بل نَهبُهُ لكَ يا رسولَ اللهِ ، وإنهُ لأهلِ بيتٍ ما لَهُمْ معيشةٌ غيرُهُ .

قال : أما إذ ذكرتَ هذا من أمره ، فانَّهُ شكا كِثرَةَ العملِ وقلةَ العلفِ ، فأحسنوا إليه[5] .

وعن عبد اللهِ بن جعفرٍ قال : أَردفني رسولُ اللهِ ﷺ خلفَه ذاتَ يومٍ فأسرَّ إليَّ حديثاً لا أُحدثُ به أحداً من الناس ، وكانَ أحبَّ ما استترَ به رسولُ اللهِ ﷺ لحاجتِهِ[6] هدفٌ او حائشُ[7] نخلٍ . فدخلَ حائطاً لرجلٍ من الأنصارِ فإذا جملٌ فلما رأى النبيَّ ﷺ حنَّ وذرفتْ عيناه فأتاهُ النبيُّ ﷺ فمسَحَ سراته[8] الى سنامِهِ

---

(١) رواه مسلم والترمذي .

(٢) اي يستقى عليه

(٣) صاح وردد صوته في حلقه .

(٤) مقدم عنقه وقيل باطن عنقه .

(٥) رواه في شرح السنة ورواه احمد وسنده ضعيف لكن له شاهد من حديث جابر رواه الدارمي (١/ ١٠) فالقصة صحيحة كما قال شيخنا الالباني في المشكاة (٣/ ١٨٨) .

(٦) كجدار وشجرة .

(٧) اشجار مجتمعة .

(٨) السراة : الظهر .

وذفراهُ[1] . فَسَكَنَ فقالَ : مَنْ ربُّ هذا الجمَلِ ؟ لمن هذا الجملُ ؟ فجاءه فتىً من الأنصارِ فقال : لي يا رسولَ اللهِ . فقال : أفلا تتقي اللهَ في هذه البهيمةِ التي ملَّكَكَ اللهُ إياها ؟ فإنه شكا إليَّ أنَّكَ تُجيعُهُ وتُدئِبُهُ[2] .

---

(١) عظم خلف الأذن .

(٢) اي تتعبه والحديث رواه ابو داود والحاكم واحمد وابن عساكر واللفظ له واسناده صحيح على شرط مسلم فقد اخرجه بهذا الاسناد دون قصة الجَمل (وراجع الاحاديث الصحيحة لشيخنا الألباني ١/٢٨) .

الخوارق من غير الأنبياء

كرامات الأولياء

من أصول أهل السنة والجماعة التصديق بكرامات[1] الأولياء ، وما يجري الله على أيديهم من خوارق العادات في أنواع العلوم والمكاشفات ، وأنواع القدرة والتأثيرات[2] .

وقد أنكر طوائف من المسلمين كرامات الأولياء ، ومن هؤلاء المعتزلة وحجتهم في دعواهم أنَّ خرق العادة لو صحَّ من غير الأنبياء لالتبس النبيّ بالوليّ ، ولم تكن المعجزة دليلاً على صدق الأنبياء[3].

وقولهم هذا مردود ، لأنَّ من كرامات الأولياء ما حدّث به القرآن ، وصحَّ ذكره في الأحاديث الصحيحة ، وتواتر النقل به ، والنّاس يشاهدون شيئا منه في كل عصر ومصر .

والشبهة التي جاؤوا بها إنّما تصحُّ إذا كان الولي يأتي بالخارق ويدَّعي النبوة ، وهذا لا يقع ، ولو ادّعى النبوة لم يكن وليّاً بل كان متنبئا كذابا[4]، وقد أنكر الإمام أحمد على الذين نفوا كرامات الأنبياء ، ولم يصدقوا بها ،وضلَّلهم[5] .

---

(١) يعرف علماء التوحيد الكرامة بأنها أمر خارق للعادة غير مقرون بدعوى النبوة ، ولا هو مقدمة لها ، يظهر على يد عبد ظاهر الصلاح ملتزم لمتابعة نبي كلف بشريعته ، مصحوب بصحيح الاعتقاد والعمل الصالح ،علم بها ذلك العبد أم لم يعلم (لوامع الأنوار البهية ٢/٣٩٣) .

(٢) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١٥٦/٣ .

(٣) شرح العقيدة الطحاوية ص ٥٦٣

(٤) المصدر السابق .

(٥) لوامع الأنوار البهية ٢/٣٩٣ .

حكمة اعطاء الكرامة للولي

يعطي الله بعض عباده أمورا خارقة للعادة إكراما لهم لصلاحهم وقوة إيمانهم ، وقديكون ذلك سدّا لحاجتهم ، كالحاجة للطعام والشراب والأمن ، وقد يعطيهم ذلك لنصرة دينه ، ورفعة كلمته ، احقاقا للحق وابطالا للباطل[1] .

فمن ذلك ما حدثنا به القرآن الكريم من شأن مريم ، فقد كان يوجد عندها فاكهة الشتاء في الصيف ، وفاكهة الصيف في الشتاء ، ﴿كُلَّمَا دَخَلَ عَلَيْهَا زَكَرِيَّا الْمِحْرَابَ وَجَدَ عِنْدَهَا رِزْقًا ، قَالَ : يَا مَرْيَمُ أَنَّى لَكِ هَذَا ، قَالَتْ هُوَ مِنْ عِنْدِ اللهِ ، إِنَّ اللهَ يَرْزُقُ مَنْ يَشَاءُ بِغَيْرِ حِسَابٍ﴾ « سورة آل عمران/٣٧ » .

ومن ذلك ما جرى لأصحاب الكهف حيث ضرب الله على آذانهم في الكهف ثلاثمائة سنة وازدادوا تسعا ، وحفظ الله أجسادهم تلك الدهور المتطاولة على النحو الذي حدثنا عنه في سورة الكهف .

ومن ذلك ما وقع لصحابة رسول الله ﷺ .

نور في العصا

فمن هؤلاء أسيد بن حُضير ، وعباد بن بشر تحدَّثا عند النبيِّ ﷺ في حاجة لهما ، حتى ذهب من الليل ساعة ، في ليلة شديدة مظلمة ، ثمَّ خرجا من عند رسول الله ينقلبان ، وبيد كل واحد منهما عصيّة ، فأضاءَت عصى أحدهما لهما حتى مشيا في ضوئها ، حتى إذا افترقت بهما الطريق أضاءَت للآخر عصاه ، فمشى كلّ واحد منهما في ضوء عصاه حتى بلغ أهله . رواه البخاري[2] .

---

(١) كثير من أهل الكلام لا يثبتون خوارق العادة إلا للأنبياء ، ولا يثبتونها لأحد غيرهم (شرح الطحاوية ص ١٥٨) .

(٢) مشكاة المصابيح (١٩٧/٣)

الطعام المبارك

وهذا أبو بكر الصديق ـ رضي الله عنه ـ يأتي معه بثلاثة أضياف من أهل الصفَّة ، وقد كان الرسول ﷺ قد أمر المسلمين أن يضيّفوا هؤلاء ، وتركهم أبو بكر في منزله كي يضيفهم أهله ، وذهب هو إلى الرسول ﷺ ، وجاء في ساعة متأخرة ، فقالت له امرأته : ما حبسك عن أضيافك ؟ قال : أو ما عشيتهم ؟ قالت : أبوْا حتى تجيء ، فغضب ، وقال : والله لا أطعمه أبدا ، فحلفت المرأة أن لا تطعمه ، وحلف الأضياف أن لا يطعموه ، قال أبو بكر هذا من الشيطان ، فدعا بالطعام ، فأكل وأكلوا ، فجعلوا لا يرفعون لقمة الا ربت أسفلها أكثر منها ، فقال لامرأته : يا أخت بني فراس ! ما هذا ؟ قالت : وقرة عيني إنّها الآن لأكثر منها قبل ذلك بثلاث مرار ، فأكلوا ، وبعث بها إلى النبي ﷺ ، فذكر أنَّه أكل منها . متفق عليه[1] .

فقد كان هذا إكراما من الله لأبي بكر لفضله ، ولأنَّه لم يشتط في غضبه إذ حلف أن لا يأكل من الطعام ، وراغم الشيطان ، فأكرمه الله بذلك .

سفينة والأسد

وهذا سفينة مولى رسول الله ﷺ أخطأ جيش المسلمين بأرض الروم أو أسر ، فانطلق هاربا يلتمس الجيش ، فإذا هو بالأسد ، فقال : يا أبا الحارث (كنية للأسد) أنا مولى رسول الله ﷺ ،كان من أمري كيت وكيت ، فأقبل الأسد له بصبصة (أي تحريك بالذنب) حتى قام إلى جنبه ، كلَّما سمع صوتا أهوى إليه ، ثمَّ أقبل يمشي إلى جنبه حتى بلغ الجيش ، ثم رجع الأسد[2] .

---

(١) مشكاة المصابيح (٣/١٩٨)

(٢) قال التبريزي في مشكاة المصابيح : رواه في شرح السنة ، وقال المحقق : ورواه الحاكم بنحوه ، وقال : صحيح على شرط مسلم ، ووافقه الذهبي وهو كما قالا (مشكاة المصابيح ٣/١٩٩)

صرخة في المدينة تدوّي في الشام :

وهذا عمر بن الخطاب يبعث جيشا ، ويؤمر عليهم رجلا يدعى سارية ، وبينما عمر يخطب ، فجعل يصيح يا ساري الجبل ، فقدم رسول من الجيش ، فقال : يا أمير المؤمنين ، لقد لقينا عدونا فهزمونا ، فإذا بصائح يصيح : يا ساري الجبل ، فأسندنا ظهورنا إلى الجبل ، فهزمهم الله تعالى[1] .

---

(١) قال التبريزي : رواه البيهقي في دلائل النبوة وقال محقق المشكاة : ورواه ابن عساكر باسناد حسن نحوه .

جملة من كرامات الأولياء

وقد ذكر ابن تيمية جملة من هذه الكرامات غير ما تقدم نسوق إليك بعضها[1] :

فمن ذلك أن خبيب بن عدي كان أسيرا عند المشركين بمكة شرفها الله تعالى ، وكان يؤتى بعنب يأكله ، وليس بمكة عنبة .

وأم أيمن خرجت مهاجرة ، وليس معها زاد ولا ماء ، فكادت تموت من العطش ، فلما كان وقت الفطر ، وكانت صائمة سمعت حسّا على رأسها فرفعته ، فإذا دلو معلق ، فشربت منه ، حتى رويت ، وما عطشت بقية عمرها .

والبراء بن مالك كان إذا أقسم على الله تعالى أبرَّ قسمه ، وكان الحرب إذا اشتدَّ على المسلمين في الجهاد يقولون : يا براء ، أقسم على ربّك ، فيقول : يا ربّ ، أقسمت عليك لما منحتنا أكتافهم ، فيهزم العدو ، فلما كان يوم القادسية ، قال : أقسمت عليك يا ربّ لما منحتنا أكتافهم ، وجعلتني أوّل شهيد ، فمنحوا أكتافهم وقتل البراء شهيدا .

وخالد بن الوليد حاصر حصنا منيعا ، فقالوا : لا نسلم حتى تشرب السمّ فشربه فلم يضره .

ولما عذبت « الزبيرة » على الإسلام في الله ، فأبت إلّا الإسلام ، وذهب

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام ١١/٢٧٦ ـ ٢٨١ .

بصرها ، قال المشركون : أصاب بصرها اللات والعزى ، قالت : كلا والله ، فردَّ الله عليها بصرها .

وتغيب الحسن البصري عن الحجاج فدخلوا عليه ست مرات فدعا الله ـ عز وجل ـ فلم يروه ، ودعا على بعض الخوارج كان يؤذيه فخر ميتا . ولما مات أويس القرني وجدوا في ثيابه أكفانا لم تكن معه قبل ، ووجدوا له قبرا محفورا فيه لحد في صخرة ، فدفنوه فيه ، بعد أن كفنوه في تلك الأثواب .

الاستقامة أعظم كرامة

ليست الكرامة دليلا على تفضيل هذا المعطى على غيره ، فقد يعطي الله الكرامة ضعيف الإيمان لتقوية إيمانه ، ومحتاجا لسدّ حاجته ، ويكون الذي لم يعط مثل ذلك أكمل إيمانا وأعظم ولاية ، وهو لذلك مستغن عن مثل ما أعطي غيره ، ولذلك كانت الأمور الخارقة في التابعين أكثر منها في الصحابة ، وعلى هذا فلا ينبغي أن يشغل المرء نفسه بالتطلع إلى الكرامة ، ولا ينبغي له أن يحزن إذا لم يعطها ، وقد صدق أبو علي الجوزجاني وبرّ حين قال : « كن طالبا للاستقامة ، لا طالبا للكرامة ، فإنَّ نفسك منجبلة على طلب الكرامة ، وربّك يطلب منك الاستقامة ، قال بعض من فهم قوله : وهذا أصل عظيم كبير في الباب ، وسرٌ غفل عن حقيقته كثير من أهل السلوك والطلاب »[1] .

---

(١) مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/ ٣٢٠)

الخوارق والأحوال الشيطانية[1]

ضلَّ كثير من النّاس عندما ظنّوا أنَّ كلَّ من جرت على يديه خوارق العادات فهو من أولياء الله الصالحين ، فبعض الناس يطيرون في الهواء ويمشون على الماء ، ونحو ذلك ، وهم من أفجر خلق الله ، بل قد يدَّعون النبوة ، مثل الحارث الدمشقي الذي خرج بالشام زمن عبد الملك بن مروان ، وادعى النبوة ، وقد أظهر أمورا خارقة للعادة ، فقد كانوا يضعون القيود في رجليه فيخرجها ، ويضرب بالسلاح فلا يؤثر فيه ، وتسبح الرخامة إذا مسحها بيده ، وكان يُري الناس رجالا وركبانا على خيل في الهواء ، ويقول : هي الملائكة ، وهذا وأمثاله من فعل الشياطين ، ولذلك إذا حضر بعض الصالحين هذه الأحوال الشيطانية وذكر الله وقرأ آية الكرسي أو شيئا من القرآن بطلت أحوالهم هذه ، فهذا الحارث الدمشقي الكذاب لما أمسكه المسلمون ليقتلوه طعنه طاعن بالرمح ، فلم ينفذ فيه ، فقال له عبد الملك : إنّك لم تسمّ الله ، فسمّى الله ، فطعنه فقتله[2] . والمسيح الدجال تجري على يديه أمور خارقة للعادة تذهل من يرآها وهو مع ذلك يدعى الألوهية .

فالخوارق ليست دليلا على أن صاحبها ولي لله تعالى ، فالكرامة سببها الإيمان والتقوى والاستقامة على طاعة الله تعالى ، فإذا كانت الخارقة بسبب الكفر والشرك والطغيان والظلم والفسق فهي من الأحوال الشيطانية ، لا من الكرامات الرحمانية .

---

(١) ارجع في هذا المبحث إلى كتابنا : عالم الجن والشياطين .

(٢) راجع مجموع فتاوى شيخ الإسلام (١١/٢٨٤ - ٢٨٥)

ثانياً : بشارات الأمم السابقة

قال تعالى : ﴿أَوَ لَمْ يَكُنْ لَهُمْ آيَةً أَنْ يَعْلَمَهُ عُلَمَاءُ بَني إِسْرَائيل﴾ « سورة الشعراء/١٩٧ » فالآية تبين أنَّ من الآيات البينات الدالة على صدق الرسول ﷺ ، وصدق ما جاء به ـ علم بني إسرائيل بذلك ، وهو علم مسجل محفوظ مكتوب في كتبهم التي يتداولونها ، كما قال تعالى : ﴿وَإِنَّه لَفِي زُبُرِ الأَوّلِينَ﴾ « سورة الشعراء/١٩٦ » .

القرآن يتحدث عن بشارات الأنبياء السابقين بنبينا محمد ﷺ

القرآن المنزل إلينا من ربنا العليم الخبير يحدثنا أن ذكر محمد وأمته موجود في الكتب السماوية السابقة ، وأنَّ الأنبياء السابقين بشروا به ، وقد فهم جمع من المفسرين من قوله تعالى : ﴿وَإِذْ أَخَذَ اللّهُ مِيثَاقَ النَّبِيّينَ لَمَا آتَيْتُكُمْ مِنْ كِتَاب وَحِكْمَةٍ ، ثُمَّ جَاءَكُم رَسُولٌ مُصَدِّقٌ لِمَا مَعَكم لتؤْمنُنَّ به ، وَلَتَنْصُرُنَّه ، قَالَ أأَقْرَرْتُمْ ، وأَخَذْتُمْ عَلَى ذَلِكُمْ إِصْرِي ، قَالُوا أَقْرَرْنا ، قَالَ فَاشْهَدُوا وَأَنا مَعَكُمْ مِن الشَاهِدِين ﴾ « سورة آل عمران/٨١ » ـ أنَّ الله أخذ العهد والميثاق على كلّ نبيٍّ لئن بُعث محمد ﷺ في حياته ليؤمنن به ويترك شرعه لشرعه ، وعلى ذلك فإن ذكره موجود عند كل الأنبياء السابقين .

دعوة إبراهيم

عن العرباض بن سارية عن رسول الله ﷺ أنَّه قال : « إني عند الله مكتوب خاتم النبيين ، وإنَّ آدم لمنجدل في طينته ، وسأخبركم بأوّل أمري ، دعوةُ إبراهيم ، وبشارة عيسى ، ورؤ يا أمّي التي رأت حين وضعتني ، وقد خرج لها نور أضاء لها منه قصور الشام» « رواه في شرح السنة »[1] .

وقد أخبرنا الله أنَّ خليل الرحمن إبراهيم وابنه إسماعيل كانا يبنيان البيت الحرام ويدعوان ، ومن دعائهما ما قصه علينا في سورة البقرة ﴿**وإذ يَرْفَعُ إبراهيمُ القَواعِدَ مِنَ الْبيتِ وإسْمَاعِيلُ رَبَّنا تَقَبَّلْ مِنَّا ، إنَّكَ أنْتَ السَّمِيعُ العَلِيمُ ، رَبَّنا وَاجْعَلْنا مُسْلِمَيْنِ لَكَ ، وَمِن ذُرِّيَّتِنَا أمّة مُسْلِمَةً لك ، وَأرِنا مَنَاسِكَنَا ، وَتُبْ عَلَيْنَا إنّكَ أنْتَ التَّوّابُ الرَّحِيمُ ، رَبّنَا وَابْعَثْ فيهم رَسُولاً مِنْهُم يَتْلُو عَلَيْهِمْ آيَاتِكَ ، وَيُعَلِّمُهُمُ الْكِتَابَ والْحِكْمَةَ وَيُزَكّيهِمْ إنَّكَ أنْتَ العَزِيزُ الْحَكِيمُ**﴾ « سورة البقرة/١٢٧ ـ ١٢٩ » .

وقد استجاب الله دعاء خليله إبراهيم وابنه نبيّ الله اسماعيل ، وكان محمد ﷺ هو تأويل تلك الاستجابة . ولا تزال التوراة الموجودة اليوم ـ على الرغم من تحريفها ـ تحمل شيئا من هذه البشارة ، فنجد فيها أنَّ الله استجاب دعاء إبراهيم في اسماعيل ، فقد ورد في التوراة في سفر التكوين في الإصحاح السابع عشر فقرة (٢٠) : « وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأثمره ، وأكثره

---

(١) مشكاة المصابيح للتبريزي ١٢٧/٣ وقال الشيخ ناصر الدين الألباني : حديث صحيح

كثيرا جدّا ، اثني عشر رئيسا يلد ، وأجعله أمّة عظيمة كثيرة » .

وهذا النصُّ ورد في التوراة السامرية بألفاظ قريبة جدّا مما أثبتناه هنا ، والترجمة الحرفية للتوراة العبرانية لهذا النصّ : « وأمّا إسماعيل فقد سمعت لك فيه ، ها أنا أباركه وأكثره « بمأد مأد »[1] وقد ذكر ابن القيم أنَّ بعض نسخ التوراة القديمة أوردت النص كما أثبتناه هنا .

ودلالة هذه البشارة على نبينا محمد ﷺ من وجوه :

الأول : أنَّ الأمّة العظيمة عند الله لا بدَّ أن تكون مسلمة ، ولم توجد هذه الأمة من نسل إسماعيل إلّا بعد بعثة الرسول وانتشار المسلمين في المشارق والمغارب .

الثاني : النصّ العبراني « مأد مأد » صريح في اسم الرسول ﷺ فالمترجمون ترجموه « جدّا جدّا أو كثيرا كثيرا » والصواب هو : محمد ، لأنها تلفظ بالعبراني « مؤدمؤد » واللفظ العبراني قريب من العربي .

الثالث : قوله اثني عشر رئيسا يلد ، هذا موافق لأخبار الرسول ﷺ أنه سيلي أمر هذه الأمة اثنا عشر خليفة كلّهم من قريش .

---

(١) نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٥٠ ، محمد نبي الإسلام ص ٣ .

بشارة موسى

لقد جاء بني إسرائيل الخبر اليقين بالنبيّ الأميّ ، على يد نبي الله موسى منذ أمد بعيد ، جاءَهم الخبر اليقين ببعثته ، وبصفاته ، ونهج رسالته ، وبخصائص ملته ، فهو النبي الأميّ ، وهو يأمر الناس بالمعروف وينهاهم عن المنكر ، ويحلُّ لهم الطيبات ويحرّم عليهم الخبائث ، يضع عن من يؤمنون به من بني إسرائيل الأثقال والأغلال التي علم الله أنها ستفرض عليهم بسبب معصيتهم ، فيرفعها عنهم النبيُّ الأميّ حين يؤمنون به ، وأتباع هذا النبي يتقون ربَّهم ، ويخرجون زكاة أموالهم ويؤمنون بآيات الله . . وجاءَهم الخبر اليقين بأن الذين يؤمنون بهذا النبي الأميّ ، ويعظمونه ويوقرونه وينصرونه ويؤيدونه ويتبعون النور الذي أنزل معه « أولئك هم المفلحون » .

قال تعالى : ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ ، وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيْءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِينَ يَتَّقُونَ ، وَيُؤْتُونَ الزَّكَاةَ ، وَالَّذِينَ هُمْ بِآيَاتِنَا يُؤْمِنُونَ ، الَّذِينَ يَتَّبِعُونَ الرَّسُولَ النَّبِيَّ الأُمِّيَّ الَّذِي يَجِدُونَهُ مَكْتُوباً عِنْدَهُمْ فِي التَّوْرَاةِ وَالإِنْجِيلِ يَأْمُرُهُم بِالْمَعْرُوفِ وَيَنْهَاهُمْ عَنِ الْمُنْكَرِ ، وَيُحِلُّ لَهُمُ الطَّيِّبَاتِ وَيُحَرِّمُ عَلَيْهِمُ الْخَبَائِثَ ، وَيَضَعُ عَنْهُمْ إِصْرَهُمْ وَالأَغْلاَلَ الَّتِي كَانَتْ عَلَيْهِمْ ، فَالَّذِينَ آمَنُوا بِهِ وَعَزَّرُوهُ وَنَصَرُوهُ وَاتَّبَعُوا النُّورَ الَّذِي أُنْزِلَ مَعَهُ أُولَئِكَ هُمُ الْمُفْلِحُونَ ﴾ « سورة الأعراف/١٥٦ ـ ١٥٧ » .

بقية هذه البشارة في التوراة

وقد بقى من هذه البشارة بقية في التوراة ، ففي سفر التثنية الاصحاح (١٨)

فقرة ١٨ ـ ١٩ قال الله لموسى : « أقيم لهم « أي لبني إسرائيل » نبيًا من وسط إخوتهم مثلك ، واجعل كلامي في فمه ، فيكلمهم بكلّ ما أوصيه به ، ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع كلامي الذي يتكلّم به باسمي أنا أطالبه » ودلالة هذه البشارة على رسولنا ﷺ بيّنه ، ذلك أنّه من بني إسماعيل وهم إخوة بني إسرائيل فجدهم هو إسحاق ، واسماعيل وإسحاق أخوان ، ثمَّ هو أوسط العرب نسبا ، وقوله مثلك أي صاحب شريعة مثل موسى ، ومحمد ﷺ هو الذي جعل الله كلامه في فمه حيث كان أميًا لا يقرأ من الصحف ، ولكنَّ الله يوحي إليه كلامه فيحفظه ويرتله ، وهو الرسول المرسل إلى الناس كافّة ، وبنو إسرائيل مطالبون باتباعه وترك شريعتهم لشريعته ، ومن لم يفعل فإنَّ الله معذبه « ويكون أن الإنسان الذي لا يسمع لكلامي الذي يتكلم به باسمي أنا أطالبه » . ومما يعرفنا أنَّ هذه البشارة هي بقية البشارة العظيمة التي أوحى الله بها إلى موسى ، وأخبرنا بها القرآن الكريم ، أن هذه البشارة وردت في موقف معين عندما اختار موسى من قومه سبعين رجلا لميقات الله فأخذتهم الرجفة ، وذلك بسبب طلبهم رؤ ية الله جلَّ وعلا ، فدعا موسى ربَّه وتوسل إليه ، فبعثهم الله من بعد موتهم ،قال الله بعد توسل موسى ودعائه ﴿ عَذَابِي أُصِيبُ بِهِ مَنْ أَشَاءُ وَرَحْمَتِي وَسِعَتْ كُلَّ شَيءٍ فَسَأَكْتُبُهَا لِلَّذِين يَتَّقُون . . ﴾ الآيات .

وإذا رجعت إلى التوارة في سفر الخروج تجد أنَّ هذه البشارة إنما أوحى الله بها إلى موسى بعد ذهابه لميقات الله ، وتتحدث التوراة عن شيء قريب من الرجفة « وكل الشعب سمع الأصوات وصوت البوق ، ونظروا الشهب والجبل دخانا ونظر كل القوم وتشردوا ووقفوا من بعد . . » سفر الخروج الإصحاح (٢٠) من التوراة السامرية .

بشارة عيسى

وأخبرنا الله ـ سبحانه ـ أنَّ عيسى بشر برسولنا محمد ـ ﷺ ـ : ﴿ وَإِذْ قَالَ عِيسَى ٱبْنُ مَرْيَمَ يَا بَنِي إِسْرَائِيلَ إِنِّي رَسُولُ الله إِلَيْكُمْ مُصَدِّقاً لِمَا بَيْنَ يَدَيَّ مِنَ التَّوْرَاةِ ،وَمُبَشِّراً بِرَسُولٍ يَأْتِي مِنْ بَعْدِي اسْمُهُ أَحْمَدُ ، فَلَمَّا جَاءَهُمْ بِالْبَيِّنَاتِ قَالُوا هَذَا سِحْرٌ مُبِينٌ ﴾ « سورة الصف/٦ » .

وأحمد من أسماء نبينا محمد ﷺ كما ثبت في صحيح البخاري عن جبير بن مطعم قال : سمعت رسول الله ﷺ يقول : « إنَّ لي أسماء ، أنا محمد ، وأنا أحمد ، وأنا الماحي الذي يمحو الله به الكفر ، وأنا الحاشر الذي يحشر الناس على قدمي ، وأنا العاقب » ورواه مسلم نحوه[1] .

مثلان في التوراة والإنجيل

ضرب الله في التوراة والإنجيل مثلين لرسولنا محمد ﷺ ولأصحابه : ﴿ مُحَمَّدٌ رَسُولُ الله والَّذِينَ مَعَهُ أَشِدَّاءُ عَلَى الْكُفَّارِ رُحَمَاءُ بَيْنَهُم ، تَرَاهُمْ رُكَّعاً سُجَّداً يَبْتَغُونَ فَضْلاً مِنَ الله وَرِضْوَاناً ، سِيمَاهُمْ فِي وُجُوهِهِمْ مِنْ أَثَرِ السُّجُودِ ، ذَلِكَ مَثَلُهُمْ فِي التَّوْرَاةِ ، وَمَثَلُهُمْ فِي الْإِنْجِيلِ كَزَرْعٍ أَخْرَجَ شَطْأَهُ ، فَآزَرَهُ ، فَاسْتَغْلَظَ ، فَاسْتَوَى عَلَى سُوقِهِ ، يُعْجِبُ الزُّرَّاعَ لِيَغِيظَ بِهِمُ الْكُفَّارَ ، وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ مِنْهُمْ مَغْفِرَةً وَأَجْراً عَظِيماً ﴾ « سورة الفتح/٢٩ » .

---

(١) تفسير ابن كثير ٦/٦٤٦ .

بشائر التوراة

التوراة التي بين أيدي الناس اليوم محرَّفة مغيرة يدلك على ذلك هذا الاختلاف الذي تجده في أمور كثيرة بين نسخها وطبعاتها ، فهناك ثلاث نسخ للتوراة : العبرانية ، واليونانية ، والسامريّة ، وكلُّ قوم يدَّعون أن نسختهم هي الصحيحة ، وهناك فروق واضحة بين طبعات التوراة وترجماتها . وقد أدى هذا التحريف إلى ذهاب كثير من البشارات أو طمس معالمها ، ومع ذلك فقد بقي من هذه البشارات شيء كثير ، ولا تخفى هذه البشارات على من يتأملها ، ويعرضها على سيرة رسول الله - ﷺ - متجردا من الهوى .

ذكر الرسول ﷺ باسمه في التوراة

لقد صرح بعض هذه البشارات باسم محمد ﷺ وقد اطلع بعض علماء المسلمين على هذه النصوص ، ولكنَّ التحريف المستمّر لهذا الكتاب أتى على هذه النصوص ، فمن ذلك ما ورد في سفر أشعيا[1]:« إني جعلت أمرك محمدا ، يا محمد يا قدوس الربّ ، اسمك موجود من الأبد » وقوله إن اسم محمد موجود من الأبد موافق لقول الرسول ﷺ : « كنت نبيّا وإن آدم لمنجدل في طينته »[2] .

وفي التوراة العبرانية في الاصحاح الثالث من سفر حبقوق[3] : « وامتلأت

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٣٢٦ :

(٢) محمد نبي الإسلام ص ١٨ .

(٣) الجواب الصحيح ٣/٣١٣ .

الأرض من تحميد أحمد ، ملك بيمينه رقاب الأمم » .

وفي النسخة المطبوعة في لندن قديما سنة ١٨٤٨ ، والأخرى المطبوعة في بيروت سنة ١٨٨٤ ، والنسخ القديمة تجد في سفر حبقوق النص في غاية الصراحة والوضوح[1] : « لقد أضاءت السماء من بهاء محمد ، امتلأت الأرض من حمده ، . . زجرك في الأنهار ، واحتدام صوتك في البحار ، يا محمد أدن ، لقد رأتك الجبال فارتاعت » .

ذكر الرسول ﷺ بأمر يتعلق به

وفي بعض الأحيان يذكر مكان مبعثه ، ففي سفر التثنية الاصحاح الثالث والثلاثون : « أقبل الربّ من سيناء ، وأشرق لهم من سعير ، وتجلى من جبل فاران » وسيناء هي الموضع الذي كلّم الله فيه موسى ، وساعير الموضع الذي أوحى الله فيه لعيسى ، وفاران هي جبال مكة ، حيث أوحى الله لمحمد ﷺ ، وكون جبال فاران هي مكة ، دلت عليه نصوص من التوراة . وقد جمع الله هذه الأماكن المقدسة في قوله : ﴿ **والتِّينِ وَالزَّيْتُونِ وطُورِ سِينِينَ ، وَهَذَا الْبَلَدِ الأَمِينِ** ﴾ « سورة التين /١ - ٣ » .

وذكرت التوراة مكان الوحي إليه ففي سفر أشعيا الإصحاح (٢١) « وحي من جهة بلاد العرب في الوعر » . وقد كان بدء الوحي في بلاد العرب في الوعر في غار حراء .

وفي هذا الموضع من التوراة حديث عن هجرة الرسول ﷺ وإشارة إلى الجهة التي هاجر إليها « هاتوا ماءً لملاقاة العطشان يا سكان أرض تيماء ، وافوا الهارب بخبزة ، فإنهم من أمام السيوف قد هربوا ، من أمام السيف المسلول ، ومن أمام القوس المشدودة ، ومن أمام شدة الحرب » وتيماء من أعمال المدينة المنورة ، وإذا نظرت في النص ظهر لك بوضوح أنه يتحدث عن هجرة الرسول ﷺ .

وتكملة النص السابق يقول : « فإنه هكذا قال لي السيد في مدة سنة كسنة

---

(١) محمد نبي الإسلام ص ١٨ .

الأجير يفنى كل مجد قيدار ، وبقية قسى أبطال بني قيدار تقلّ ، لأنَّ الربّ إله إسرائيل قد تكلم » .

وهذا النص يتحدث عن معركة بدر ، فإنّه بعد سنة كسنة الأجير من الهجرة كانت وقعة بدر ، وفنى مجد قيدار ، وقيدار من أولاد إسماعيل ، وأبناؤه أهل مكة ، وقد قلت قسى أبناء قيدار بعد غزوة بدر .

اشارة التوراة إلى معلم من معالم مهاجر الرسول

وأشارت بعض نصوص التوراة الى مكان هجرة الرسول ﷺ ، ففي سفر أشعيا الاصحاح (٤٢) « لترفع البريّة ومدنها صوتها ، الديار التي سكنها قيدار ، لتترنم سكان سالع من رؤوس الجبال ليهتفوا ليعطوا الربَّ مجدا . . »

وقيدار أحد أبناء اسماعيل كما جاء في سفر التكوين إصحاح (٢٥) عدد (١٣) .

وسالع جبل سلع في المدينة المنورة .

والترنم والهتاف ذلك الأذان الذي كان ولا يزال يشقُّ أجواز الفضاء كلّ يوم خمس مرات ، وذلك التكبير والتحميد في الأعياد وفي أطراف النهار وآناء الليل كانت تهتف به الأفواه الطاهرة من أهل المدينة الطيبة الرابضة بجانب سلع .

اشارة التوراة إلى أمور جرت على يديه ﷺ

وقد تذكر النصوص انتشار دعوته وبعض ما يكون من الرسول ﷺ ، ففي سفر حبقوق الاصحاح الثالث : « الله جاء من تيمان ، والقدوس من جبال فاران ، سلاه جلاله غطى السموات والأرض ، امتلأت من تسبيحه ، وكان لمعان كالنور ، له من يده ، وشعاع ، وهناك استنار قدرته ، قدامه ذهب الوبا ، وعند رجليه خرجت الحمّى ، وقف وقاس الأرض ، نظر ، فرجفت الأمم ، ودكت الجبال الدهريّة ، وخسفت آكام القدم » .

ففي هذه البشارة اخبار بالنصر العظيم الذي حازه الرسول ﷺ وأتباعه ،

وإخبار بانتشار دعوته في شتى بقاع الأرض ، وبأن الجبال الدهريّة وهي الدول القويّة ذات المجد القديم ستدك ، وآكام القدم وهي الدول الأقل ستخسف ، وقد تحقق ذلك كلّه ، وأشارت هذه البشارة إلى أمرين يدركهما من كان عليما بسيرة الرسول ﷺ وأخباره ، وهما : لمعان كالنور له من يده ، وذهاب الوبا من قدامه ، وخروج الحمّى من عند رجليه .

اللمعان والنور الذي شعَّ من يده

يقول النصّ : « وكان لمعان كالنور ، له من يده ، وشعاع ، وهناك استنار قدرته » ثم يقول : « وقف وقاس الأرض نظر ، فرجفت الأمم . . » والذي يبدو لي أنَّ هذا النص يتحدث عن حادثة بعينها ، وهي ما وقع منه ﷺ في غزوة الخندق ، عندما أعجزت صخرة الصحابة أثناء حفر الخندق ، فجاء الرسول ﷺ فضربها ضربة عظيمة أسقطت ثلثها وخرج منها نور فكبر الرسول ﷺ فكبر أصحابه ، ثمَّ الثانية فالثالثة ، وقد أخبر الرسول ـ ﷺ ـ أنه رأى بالنور الأول قصور الشام ، وبالنور الثاني قصور فارس ، وبالنور الثالث ابواب صنعاء .

روى النسائي وأحمد بإسناد حسن من حديث البراء بن عازب قال : لما كان حين أمرنا رسول الله ـ ﷺ ـ بِحفر الخندق ، عرضت لنا في بعض الخندق صخرة لا تأخذ فيها المعاول ، فاشتكينا ذلك إلى النبيّ ﷺ ، فجاء فأخذ المعول فقال : « باسم الله » ، فضرب ضربة فكسر ثلثها ، وقال: « الله أكبر أعطيت مفاتيح الشام ، والله إني لأبصر قصورها الحمر الساعة » ، ثمَّ ضرب الثانية فقطع الثلث الآخر ، فقال : الله أكبر ، أعطيت مفاتيح فارس ، والله إنّي لأبصر قصر المدائن أبيض ، ثمَّ ضرب الثالثة ، وقال : باسم الله ، فقطع بقية الحجر ، فقال : « الله أكبر » أعطيت مفاتيح اليمن ، والله إني لأبصر أبواب صنعاء من مكاني هذا الساعة[1] » .

وفي رواية الطبراني : « فضرب الصخرة وبرق منها برقة فكبّر وكبّر

---

(١) فتح الباري ٣٩٧/٧ .

المسلمون » ، وفيه « إن البرقة الأولى أضاءت لها قصور الشام ، فأخبرني جبريل أن أمتي ظاهرة عليهم . . »[1] .

تأمل النص الذي أوردناه مرة أخرى « لمعان كالنور له من يده ، وشعاع وهناك استنار قدرته . . وقف وقاس الأرض نظر . . » .

وتأمل في الأحاديث التي أوردناها أليست هذه الواقعة تأويل لتلك البشارة ؟

ذهاب الوبا وخروج الحمى

تقول هذه البشارة : « قدامه ذهب الوبا ، وعند رجليه خرجت الحمّى»، وهذه ـ والله ـ بشارة صريحة لا تحتمل تأويلا ، فالمدينة قبل مجيء الرسول ـ ﷺ ـ كانت معروفة بالحمّى ، وفي الحديث عن ابن عباس أنَّ الرسول ﷺ وأصحابه عندما قدموا مكة للعمرة ـ وهي العمرة المعروفة بعمرة القضاء ـ قال المشركون : « إنّه يقدم عليكم وفد وهنتهم حمّى يثرب » رواه البخاري[2] .

وقد أصابت هذه الحمّى صحابة الرسول ﷺ أوّل قدومهم المدينة ، فدعا رسول الله ﷺ ربَّه كي يذهب الحمّى .

عن عائشة رضى الله عنها قالت : لما قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة ، وُعك أبو بكر وبلال . قالت : فدخلت عليهما[3] ، فقلت : يا أبت كيف تَجِدُكَ ؟ ويا بلال كيف تجدك ؟ قالت : فكان أبو بكر إذا أخذته الحمّى يقول :

كلُّ امرىء مُصبَّح في أهلهِ والموت أدنى من شراك نعله

وكان بلال إذا أقلع عنه الحمّى يرفع رَأسْه ويقول :

ألا ليت شعري هل أبيتنَّ ليلة بوادٍ وحولي اذخر وجليل

وهل أردن يوما مياه مِجَنَّة وهل يبدون لي شامة وطفيل

---

(١) المصدر السابق .

(٢) انظر فتح الباري ٣/٤٦٩ .

(٣) دخولها على بلال كان قبل نزول آية الحجاب .

قالت عائشة : فجئت رسول الله ﷺ فأخبرته ، فقال : « اللهمَّ حبب إلينا المدينة كحبنا مكّة أو أشدّ ، وصححها ، وبارك لنا في صاعها ومدِّها ، وانقل حمّاها فاجعلها في الجحفة » رواه البخاري[1] ، وزاد البخاري في آخر كتاب الحج : « ثم يقول بلال : اللهم العن عتبة بن ربيعةوشيبةبن ربيعة وأمية بن خلف كما أخرجونا إلى أرض الوباء »[2] .

إذن كانت يثرب موبوأة بالحمى ، لا يكاد يدخلها أحد إلاّ أصابته .

وقد استجاب الله لنبيّه ـ ﷺ ـ فنقل عنها الحمى ، وصححها ، ومنع عن المدينة الطاعون ، ففي الحديث الذي يرويه أحمد في مسنده عن أبي عسيب مولى رسول الله ﷺقال : قال رسول الله ﷺ : « أتاني جبريل عليه السلام بالحمّى والطاعون ، فأمسكت الحمّى بالمدينة ، وأرسلت الطاعون إلى الشام »[3] . وإمساكه الحمّى بالمدينة لعله كان في بداية الأمر ، ثمَّ أمر بإرسالها إلى الجحفة ، أو ان المراد بامساكها بالمدينة المنطقة التي فيها المدينة ، ذلك أن الجحفة تقع قرب المدينة . وعلى كلّ فالبشارة واضحة وقعت كما أخبرت التوراة .

---

(١) انظر فتح الباري ٢٦٢/٧ .

(٢) فتح الباري ٢٦٣/٧ .

(٣) مسند الامام أحمد (٨١/٥) .

بشارات جامعة

وفي بعض الأحيان تكون البشارات جامعة تذكر صفات الرسول ﷺ ووحي الله إليه ، وأخبار أمته ، وما ينزل اليه عليهم من نصره ، وامدادهم بالملائكة ، وشيئاً مما يعطيه الله لرسوله كالعروج به إلى السماء ونحو ذلك ، فمن ذلك ما ورد في بشائر دانيال .

قال دانيال[1] يهدد اليهود ويصف لهم أمة محمد ﷺ : « إنّ الله يظهرهم عليكم ، وباعث فيهم نبيًا ، ومنزل عليهم كتابا ، ومملكهم رقابكم ، يقهرونكم ويذلونكم بالحقّ ، ويخرج رجال قيدار في جماعات الشعوب ، معهم الملائكة على خيل بيض ، فيحيطون بكم ، وتكون عاقبتكم النار ، نعوذ بالله من النار »

وقيدار ابن اسماعيل ، وقد انتشروا في الأرض واستولوا على الشام والجزيرة ومصر والعراق ، وقد تواترت الآثار أن الملائكة كانت تنزل على الخيل البيض كما نزلت يوم بدر والأحزاب ، وقال دانيال مصرحا باسم محمد ﷺ : « ستنزع في قسيّك اغراقا ، وترتوي السهام بأمرك يا محمد » .

وقال دانيال أيضا : « سألت الله وتضرعت إليه أن يبيّن لي ما يكون من بني إسرائيل ، وهل يتوب عليهم ، ويردّ إليهم ملكهم ، ويبعث فيهم الأنبياء ، أو يجعل ذلك في غيرهم ؟ فظهر لي الملك في صورة شاب حسن الوجه ، فقال :

---

(١) انظر الجواب الصحيح (٣/٣٣١ ، ٤ /٣) .

السلام عليك يا دانيال ، إن الله يقول : إنَّ بني إسرائيل أغضبوني وتمردوا عليّ ، وعبدوا من دوني آلهة أخرى ، وصاروا من بعد العلم إلى الجهل ، ومن بعد الصدق إلى الكذب ، فصلَّت عليهم بخت نصّر ، فقتل رجالهم ، وسبى ذراريهم ، وهدم مساجدهم ، وحرق كتبهم ، وكذلك فعل من بعده بهم ، وأنا غير راض عنهم ، ولا مقيلهم عثرات ، فلا يزالوان في سخطي حتى أبعث مسيحي ابن العذراء البتول ، وأختم ذلك عليهم باللعن والسخط ، فلا يزالون ملعونين ، عليهم الذلة والمسكنة حتى أبعث نبيّ بني إسماعيل الذي بشرت به هاجر ، وأرسلت إليها ملاكي وبشرها ، وأوحي إلى ذلك النبي ، وأعلمه الأسماء ، وأزينه بالتقوى ، وأجعل البرَّ شعاره ، والتقوى ضميره ، والصدق قوله ، والوفاء طبيعته ، والقصد سيرته ، والرشد سنته ، أخصه بكتاب مصدق لما بين يديه من الكتب ، وناسخ لبعض ما فيها ، أسرى به إلي ، وأرقيه من سماء إلى سماء ، حتى يعلو ، فأدنيه ، وأسلِّم عليه ، وأوحي إليه ، ثمَّ أردّه إلى عبادي بالسرور والغبطة ، حافظا لما استودع ، صادقا فيماأخبر، يدعو الى توحيدي باللين من القول والموعظة الحسنة ، لا فظ ولا غليظ ولا صخاب بالأسواق ، رؤوف بمن والاه ، رحيم بمن عاداه ، فيدعو قومه الى توحيدي وعبادتي ، ويخبرهم بما رأى من آياتي ، فيكذبونه ، ويؤذونه » .

يقول ابن تيمية : « ثمَّ سرد دانيال قصة رسول الله ﷺ بما أملاه عليه الملك حتى وصل آخر امته بالنفخة ، وانقضاء الدنيا » .

ثم قال : « وهذه البشارة الآن عند اليهود والنصارى يقرءونها ، ويقولون : لم يظهر صاحبها بعد » .

بشارات من الانجيل

وفي انجيل متى الإصحاح (١١) عدد (١٤) « وإن أردتم أن تقبلوا فهذا هو إيليا المزمع أن يأتي ، من له أذنان للسمع فليسمع » .

وقد أخبرنا الرسول ـ ﷺ ـ أنه ليس بينه وبين عيسى نبي ، فيكون ايلياء الذي بشر به عيس هو محمدا ﷺ . وايليا بحساب الجمل الذي أغرمت به اليهود يساوي محمدا .

وفي انجيل يوحنا إصحاح (١٤) عدد (١٥) « إن كنتم تحبوني فاحفظوا وصاياي ، وأنا أطلب من الآب فيعطيكم معزيا آخر ليمكث معكم الى الأبد ، وفي اللغات الاجنبية « فيعطيكم باركليتوس » ليمكث معكم إلى الأبد » والمعنى الحرفي لكلمة « باركليتوس » اليونانيّة هو أحمد ، وهو من أسماء الرسول ﷺ[1] .

وفي اصحاح يوحنا (١٥) عدد (٢٦) « ومتى جاء المعزى الذي أرسله أنا إليكم من الآب روح الحقّ الذي من عند الآب ينبثق فهو يشهد لي » ويشهد لي لأن النبي محمد ﷺ شهد للمسيح بالنبوة والرسالة ، وروح الحقّ كناية عن الرسول محمد ﷺ ، والمعاني الواردة في هذه الترجمة الحديثة ليست دقيقة ، لأن أصلها باليونانية وهي اللغة التي ترجمت منها هذه الأناجيل ـ مكتوبة « بيركليتوس » وفي التراجم العربية المطبوعة سنة ١٨٢١ ، سنة ١٨٣١ ، سنة ١٨٤٤ ، في لندن تجدها « فارقليط » وهي أقرب الى العبارة اليونانية المشار اليها[2] ، أمّا ترجمتها

---

(١) محمد نبي الإسلام ص ٣٦ .

(٢) المصدر السابق ص ٣٨ .

في الطبعات الحديثة إلى المعزى فهو من التحريف الذي ذم الله أهل الكتاب به ﴿ يُحَرِّفُونَ الْكَلِمَ عَنْ مَوَاضِعِهِ ﴾ « سورة النساء/ ٤٦ » . ويلاحظ أن هناك جملة ساقطة قبل الجملة الواردة في عدد (٢٦) من هذا الاصحاح سقطت من الطبعات الحديثة ، لكنَّها ورادة صراحة في الطبعات القديمة للإنجيل ، ونص هذه الجملة : « فلو قد جاء المنحمنا الذي يرسله الله إليكم » ومعنى المنحمنا الحرفي باللغة السريانية محمد(١)(٢)

---

(١) المصدر السابق ص ٣٩ .

(٢) وقد استقصى شيخ الإسلام فأورد تلك الروايات التي بشر بها عيسى بالنبيِّ ﷺ وبين وجه الاستدلال بها انظر الجواب الصحيح (٦/٤) .

بشارة أخرى من الإنجيل[1]

جاء في (إنجيل متى) في الإصحاح الحادي والعشرين :

« ٤٢ قال لهم يسوع : أما قرأتم قط في الكتب : الحجر الذي رفضه البناؤون هوذا قد صار رأس الزاوية . من قِبَل الرب كان هذا هو عجيب في أعيننا .

٤٣ لذلك أقول لكم أنَّ ملكوت الله يُنزع منكم ويعطى لأمة تعمل اثماره .

٤٤ ومن سقط على هذا الحجر يترضض ومن سقط هو عليه يسحقه » .

وهذا الحجر إنما هو سيدنا محمد ، جاء في (صحيحي البخاري ومسلم) عن أبي هريرة وجابر بن عبد الله رضي الله عنهما أن رسول الله ﷺ قال : « إنَّ مثلي ومثل الأنبياء من قبلي كمثل رجل بنى بيتاً فأحسنه وأجمله إلا موضع لبنة من زاوية فجعل الناس يطوفون به ويعجبون له ويقولون : هلا وضعت هذه اللبنة ؟ قال : فأنا اللبنة وأنا خاتم النبيين » .

قال ابن القيم[2] : « وتأمل قوله [المسيح] في البشارة الأخرى : ألم تر إلى الحجر الذي أخره البناؤون صار رأساً للزاوية ، كيف تجده مطابقاً لقول النبي ﷺ : مثلي ومثل الأنبياء قبلي كمثل رجل بنى داراً فأكملها وأتمها إلا موضع لبنة

---

(١) نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٩٧ .

(٢) هداية الحيارى ٣٨١ - ٣٨٢ .

منها فجعل الناس يطوفون بها ويعجبون منها ويقولون : هلاّ وضعت تلك اللبنة فكنت أنا تلك اللبنة .

وتأمل قول المسيح في هذه البشارة : إن ذلك عجيب في أعيننا . وتأمل قوله فيها : « إن ملكوت الله سيؤخذ منكم ويدفع إلى آخر » كيف تجده مطابقاً لقوله تعالى ﴿ **وَلَقَدْ كَتَبْنَا فِي الزَّبُورِ مِنْ بَعْدِ الذِّكْرِ أَنَّ الْأَرْضَ يَرِثُهَا عِبَادِيَ الصَّالِحُونَ** ﴾ « سورة الأنبياء/ ١٠٥ » وقوله : ﴿ **وَعَدَ اللَّهُ الَّذِينَ آمَنُوا مِنْكُمْ وَعَمِلُوا الصَّالِحَاتِ لَيَسْتَخْلِفَنَّهُمْ فِي الْأَرْضِ** ﴾ « سورة النور/ ٥٥ » .

ونحو هذا النص ما جاء في « إنجيل متى » في الإصحاح الثامن :

« ١١ وأقول لكم إن كثيرين سيأتون من المشارق والمغارب ويتكئون مع إبراهيم وإسحاق ويعقوب في ملكوت السموات وأما بنو الملكوت فيطرحون إلى الظلمة الخارجية هناك يكون البكاء وصرير الأسنان » .

وهذه بشارة تشير إلى ظهور أمة الإسلام التي تأتي من المشارق والمغارب وتكون مرضية عند الله مع الذين أنعم الله عليهم من النبيين والصديقين والشهداء والصالحين وحسن أولئك رفيقاً .

جاء في (الفارق) : « أيها المسيحي إذا أنصفت تحكم بأن هؤلاء الذين سيأتون من مشارق الأرض ومغاربها هم الأمة المحمدية لأنكم مخاطبون حاضرون إذ ذاك والمسيح سلام الله عليه يخبر عن قوم سيأتون في مستقبل الزمن وقد أخرجكم بقوله : « وأما بنو الملكوت »[1] .

ونحو ذلك ما جاء في (إنجيل يوحنا) في الإصحاح الرابع :

« ٢٠ ـ ٢٤ قال لها يسوع : يا امرأة صدقيني أنه تأتي ساعة لا في هذا الجبل ولا في أورشليم تسجدون لله » .

وهذا النصّ يشير إلى ظهور الدين الجديد وإنّه سيتحول مركزه عن أورشليم

---

(١) الفارق ٥٤ .

ويشير إلى تحول القبلة من بيت المقدس إلى الكعبة المعظمة ، قبلة أصحاب الدين الجديد ويصدقه قوله تعالى ﴿ قَدْ نَرَى تَقَلُّبَ وَجْهِكَ فِي السَّمَاءِ فَلَنُوَلِّيَنَّكَ قِبْلَةً تَرْضَاهَا ، فَوَلِّ وَجْهَكَ شَطْرَ الْمَسْجِدِ الْحَرَامِ وَحَيْثُمَا كُنْتُمْ فَوَلُّوا وُجُوهَكُمْ شَطْرَهُ وَإِنَّ الَّذِينَ أُوتُوا الْكِتَابَ لَيَعْلَمُونَ أَنَّهُ الْحَقُّ مِنْ رَبِّهِمْ وَمَا اللَّهُ بِغَافِلٍ عَمَّا يَعْمَلُونَ﴾ . « البقرة/ ١٤٤ » .

فقد كان المسلمون أول الأمر يتجهون في صلاتهم إلى بيت المقدس ثم نزلت الآية بوجوب اتجاههم إلى بيت الله الحرام في مكة المكرمة .

من إنجيل لوقا[1]

ذكر صاحب كتاب (الإنجيل والصليب) أنه جاء في (إنجيل لوقا) ٢ : ١٤ « الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد » .

ولكن المترجمين ترجموها في الإنجيل هكذا :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض السلام وبالنّاس المسرة » .
ومؤلف الكتاب يرى أنّ الترجمة الصحيحة ما ذكره هو .

يقول المؤلف أنّ ثمة كلمتين وردتا في اللغة الأصلية لم يدرك أحد ما تحتويان عليه من المعاني تماماً فلم تترجم هاتان الكلمتان كما يجب في الترجمة القديمة من السريانية .

هاتان الكلمتان هما :
أيريني ـ التي يترجمونها : السلامة .

و : أيودكيا ـ التي يترجمونها : حسن الرضا .

فالأولى من الكلمتين اللتين هما موضوع بحثنا الآن هي (أيريني) فقد ترجمت بكلمات (سلامة) (مسالمة) (سلام) .

والمؤلف يرى أن ترجمتها الصحيحة (إسلام) فيقول في ص ٤٠ : « ومن

---

(١) نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٣٠٠ .

المعلوم أن لفظ (إسلام) يفيد معاني واسعة جداً ويشتمل على ما تشتمل عليه ألفاظ (السلم ، السلام) (الصلح ، المسالمة) (الأمن ، الراحة) . . . . وتتضمن معنى زائداً وتأويلا آخر أكثر وأعم وأشمل وأقوى مادة ومعنى ، ولكن قول الملائكة « على الأرض سلام » لا يصح أن يكون بمعنى الصلح العام والمسالمة ، لأنَّ جميع الكائنات وعلى الأخص الحيَّة منها ولا سيما النوع البشري الموجود على كرة الأرض دارنا الصغيرة هي بمقتضى السنن الطبيعية والنواميس الاجتماعية خاضعة للوقائع والفجائع الوخيمة كالاختلافات والمحاربات والمنازعات . . . ، فمن المحال أن يعيش الناس على وجه الأرض بالصلح والمسالمة » .

ثم يستشهد بقول المسيح « ما جئت لألقي سلاماً على الأرض ، ما جئت لألقي سلاماً بل سيفاً » (متى ١٠ : ٣٤) .

ويستشهد بقول آخر للمسيح : « جئت لألقي ناراً على الأرض ، فماذا أريد لو اضطرمت ؟ أتظنون أني جئت لأعطي سلاماً على الأرض ؟ كلا أقول لكم بل انقساماً » (لوقا ١٢ : ٤٩ ـ ٥٣) .

وعلى هذا فالترجمة لا تنطبق ورسالة المسيح وأقواله والصواب « وعلى الأرض إسلام » . (انظر البحث من ص ٣٨ ـ ٤٤) .

كما يرى أن (أيادوكيا) بمعنى (أحمد) لا (المسرة أو حسن الرضا) كما يترجمها القسس وذلك، لأنه لا يقال في اليونانية لحسن الرضا (ايودوكيا) بل يقال (ثليما) .

ويقول أن كلمة (دوكوته) هي بمعنى (الحمد ، الاشتهاء ، الشوق ، الرغبة ، بيان الفكر) . وها هي ذي الصفات المشتقة من هذا الفعل (دوكسا) وهي (حمد ، محمود ، ممدوح ، نفيس ، مشتهى ، مرغوب ، مجيد) .

واستشهد بأمثلة كثيرة من اليونانية لذلك . وقال : أنهم يترجمون (محمديتو) في (أشعيا ٦٤ : ١١) بـ (اندوكساهيمون) ويترجمون الصفات

منهـا (محمـد ، أحمـد ، أمجـد ، ممـدوح ، محتشم ، ذو الشـوكـة) بـ (ايندكسوس) .

واستدل بهذا التحقيق النفيس أن الترجمة الحقيقية الصحيحة لما ذكره لوقا هي (أحمد ، محمد) لا (المسرة) فتكون الترجمة الصحيحة لعبارة الإنجيل :

« الحمد لله في الأعالي وعلى الأرض إسلام وللناس أحمد »[1] .

---

(١) انظر كتاب (الإنجيل والصليب) للأب عبد الأحد داود ٣٤ - ٥٣ .

بشارات إنجيل برنابا

هذا الإنجيل ملىء بالبشارات الصريحة بالرسول المصطفى المختار ، ومما ورد فيه (ص ١٦١) : « قال الله اصبر يا محمد . . . » (ص ١٦٢) « إن اسمه المبارك محمد . . » (ص ١٦٢) : « يا الله أرسل لنا رسولك ، يا محمد تعال سريعا لخلاص العالم » .

رأي في إنجيل برنابا

لا شكَّ أن هذا الإنجيل من الأناجيل التي كانت معروفة قديما ، وقد ورد ذكره في كتب القرن الثاني والثالث للميلاد ، ثمَّ لم يرد له ذكر بعد ذلك ، إلى أن عثر على نسخة منه في أوائل القرن الثامن عشر الهجري ، ولا تزال هذه النسخة في مكتبة بلاط (فينّا) .

وعندما نشر هذا الكتاب أحدث ضجّة كبرى ـ في ذلك الوقت ـ في أوروبا في نوادي العلم والدين ، وقد طبعت ترجمة هذا الكتاب مرتين باللغة العربية ، الطبعة الثانية نشرتها دار القلم بالكويت .

وقد اطلعت على هذا الكتاب وأمعنت النظر فيه ، وقد تبين لي فيه رأي لم أجد أحدا قد تنبه إليه ، تبين لي أن هذا الكتاب وإن كان له أصل فقد لعبت فيه يد مسلم ، فأدخلت فيه ما ليس منه ، والذي جعلني أذهب هذا المذهب ليست تلك التعليقات العربية التي وجدت على هامش النسخة الأصلية الموجودة في

(فينّا) ، وإنّما تلك المبالغات التي وصف بها الإنجيل الرسول ﷺ ، نحن نصدّق أن يبشر الإنجيل بالرسول ـ ﷺ ـ ولكننا نستبعد كل البعد أن يكون قد شاع بين أهل الكتاب تلك الخرافات التي شاعت بين المسلمين بعد بعثة الرسول ﷺ ، ونسبوها للرسول ﷺ ، فنجد في الإنجيل هذا أنَّ الله أعطى رسوله محمد ﷺ كل شيء ، وخلق من أجله كل شيء ، وجعله قبل كل شيء ، انظر ص (٩١ ، ٩٣ ، ١١٠) ، وفي ص (١١١) يقول حاكيا كلام الرسول ﷺ : « يا رب أذكر أنك لما خلقتني قلت إنّك أردت أن تخلق العالم والجنة والملائكة ـ والناس حبّا فيّ ليمجدوك بي أنا عبدك » .

وفي ص (١٦١) ، اصبر يا محمد لأجلك أريد أن أخلق الجنّة والعالم وجمّا غفيرا من الخلائق التي أهبها لك . . » .

وفي ص (٢٦٦) ، « هذا هو الذي لأجله خلق الله كلَّ شيءٍ » .

وفي ص (١٥٢) يقول : « ولذلك لما خلق الله قبل كلِّ شيء رسوله » .

هذه الأقوال بدون شكّ غير صحيحة ، وهي تناقض الحقّ الذي بين أيدينا ، فالله خلق البشر والملائكة والجنَّ لعبادته « وما خلقت الجنَّ والإنس إلا ليعبدون » . «سورة الذاريات/ ٥٦».

وأول المخلوقات القلم كما في الحديث « أول ما خلق الله القلم » وهذه الأقوال التي فيها غلو شاعت بين المسلمين وصاغوها أحاديث نسبوها إلى الرسول ﷺ ، ومن هذه الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث « لولاك لما خلقت الأفلاك » (سلسلة الأحاديث الضعيفة والموضوعة حديث رقم ٢٨٢) وحديث « كنت نبيا وآدم بين الماء والطين » « حديث رقم ٣٠٢ ، ٣٠٣ » وحديث : « كنت أول النبيين في الخلق وآخرهم في البعث » « كتاب الفوائد المجموعة للشوكاني ص ٣٢٦ » .

وحديث : « لقد خلقت الدنيا وأهلها لأعرفهم كرامتك علي ومنزلتك عندي ، ولولاك يا محمد ما خلقت الدنيا » (تنزيه الشريعة المرفوعة عن الأحاديث

الضعيفة والموضوعة ص ٣٢٥) .

وفي هذا المصدر ص ٣٣٧ حديث يقول : « خلقني الله من نوره وخلق أبا بكر من نوري » .

وإذا أنت قارنت بين ما نقلته عن إنجيل برنابا وهذه الاحاديث الضعيفة والموضوعة أدركت أن الذي أدخل هذه الأوصاف كانِ من هذا النوع الذي عشعشت أمثال هذه الأحاديث المكذوبة في ذهنه .

وهناك أمور أخرى منسوبة إلى الرسول ﷺ زورا ، لأنها تخالف الحقَّ الذي في أيدينا ، فمن ذلك ما ورد (ص ٢٠٩) من « أن الجحيم ترتعد لحضور الرسول عليه السلام ، فيمكث بلا مكابدة عقاب مدة اقامة رسول الله لمشاهدة الجحيم » فهذا مخالف لصريح القرآن ﴿ لا يفتر عنهم وهم فيه مبلسون ﴾ .

ومن ذلك نقل هذا الكتاب عن عيسى قوله في (ص ٩٢) « لست أهلا أن أحل رباطات جرموق أو سيور حذاء رسول الله » ويقول قريبا من هذا في ص (٩٦) و ص (١٦٠) ، ومثل هذا بعيد أن يصدر عن رسول من أولي العزم من الرسل .

ومع ذلك فقد وصف الكتاب الرسول ﷺ بأمور فيها تحقير له ، ففي ص (١٠٨) يصف الرسول ﷺ بأنّه سيكون كالمخبول ، وفي ص (١٠٥) يقول : أن الله سيجرد رسوله محمد في يوم القيامة من الذاكرة .

بشارات من الأسفار العالمية الأخرى[1]

ألّف « مولانا عبد الحق قديارتي » كتابا باللغة الانجليزية وسماه :

« محمد في الأسفار العالمية » واستفاد في مقارناته ومناقضاته بمعرفته للفارسية والهندية والعبرية والعربية وبعض اللغات الاوروبية ، ولم يقنع فيه بكتب التوراة والانجيل بل عمم البحث في كتب فارس والهند وبابل القديمة ، وكانت له في بعض أقواله توفيقات تضارع اقوى ما ورد من نظائرها في شواهد المتدينين كافة . . .

يقول الاستاذ عبد الحق أن اسم الرسول العربي « أحمد » مكتوبة بلفظه العربي في السامافيدا Samavida من كتب البراهمة وقد ورد في الفقرة السادسة والفقرة الثامنة من الجزء الثاني ونصها ان « أحمد تلقى الشريعة من ربه وهي مملوءة بالحكمة وقد قبست منه النور كما يقبس من الشمس » . . . وفي مواضع كثيرة من كتب البراهمة يرى المؤلف أن النبي محمداً مذكور بوصفه الذي يعني الحمد الكثير والسمعة البعيدة ومن أسمائه الوصفية اسم سشرافا Sushrava الذي ورد في كتاب أثارفا فيدا Atharpha vida وكذلك صنع بكتب زرادشت التي اشتهرت باسم الكتب المجوسية فاستخرج من كتاب زند افستا Zend Avesta نبوءة عن رسول يوصف بأنه رحمة للعالمين « سوشيانت Soeshyant » ويتصدى له عدو يسمى بالفارسية القديمة أبو لهب Angra Mainyu ويدعو إلى إله واحد لم يكن له

(١) نبوة محمد من الشك إلى اليقين ص ٢٠٤ .

كفواً أحد « هيج جيز باونمار » وليس له أول ولا آخر ولا ضريع ولا قريع ولا صاحب ولا أب ولا أم ولا صاحبة ولا ولد ولا ابن ولا مسكن ولا جسد ولا شكل ولا لون ولا رائحة « جز آخاز وانباز ودشمن ومانند ويار وبدر ومادر وزن وفرزند وحاي سوي وتن آسا وتناني ورنك وبوي است » .

وهذه هي جملة الصفات التي يوصف بها الله سبحانه في الإسلام : أحد صمد ليس كمثله شيء . لم يلد ولم يولد ولم يكن له كفوا أحد ، ولم يتخذ صاحبة ولا ولداً .

ويشفع ذلك بمقتبسات كثيرة من كتب الزرادشتية تنبىء عن دعوة الحق التي يجيء بها النبي الموعود وفيها اشارة الى البادية العربية ويترجم نبذة منها إلى اللغة الانجليزية معناها بغير تصرف « ان أمة زردشت حين ينبذون دينهم يتضعضعون وينهض رجل في بلاد العرب يهزم أتباعه فارس ويخضع الفرس المتكبرين ، وبعد عبادة النار في هياكلهم يولون وجوههم نحو كعبة ابراهيم التي تطهرت من الأصنام ويومئذ يصبحون وهم أتباع للنبي رحمة للعالمين وسادة لفارس ومديان وطوس وبلخ وهي الأماكن المقدسة للزرادشتيين ومن جاورهم وان نبيهم ليكونن فصيحاً يتحدث بالمعجزات »[1].

---

(١) ص ٤٧ من كتاب Mohammed in World Scriptures نقلاً من كتاب (مطلع النور) للاستاذ عباس محمود العقاد ١٤ ـ ١٧ .

شيوع هذه البشارات قبل البعثة

لقد كانت هذه البشارات منتشرة قبل البعثة النبويّة ، فلم يكن أهل الكتاب يكتمونها في ذلك الوقت ، بل كانوا يذيعونها ، ويزعمون أنهم سيتابعون صاحبها عندما يبعث ، وقد حفظ لنا المسلمون بعض هذه البشارات ، ونقل لنا الأنصار من أهل المدينة أحاديث اليهود قبل البعثة عن هذه البشارات ، وقد تعرف بعض أهل الكتاب على الرسول ﷺ في صغره ، وانتفع بعض أهل الكتاب بهذه البشارات وآمنوا .

صفة رسولنا ﷺ في التوراة

روى البخاري في صحيحه عن عطاء بن يسار ، قال : لقيت عبد الله بن عمرو بن العاص ، قلت : أخبرني عن صفة رسول الله في التوراة ، قال : أجل ، والله إنّه لموصوف ببعض صفته في القرآن ، ﴿ يَـأَيُّهَا النَّبِيُّ إِنَّا أَرْسَلْنَاكَ شَاهِداً وَمُبَشِّراً وَنَذِيراً ﴾ « سورة الأحزاب/٤٥ » وحرزا للأميين ، أنت عبدي ورسولي ، سمّيتك المتوكل ، ليس بفظّ ، ولا غليظ ، ولا صخّاب في الأسواق (الصخب : الصياح) ، ولا يدفع بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، ولن يقبضه الله حتى يقيم به الملّة العوجاء ، بأن يقولوا لا إله إلّا الله ، ويفتح به أعينا عميا ، وآذانا صمّا ، وقلوبا غلفا[1] .

---

(١) رواه البخاري (مشكاة المصابيح ١٢٥/٣) .

وروى الدارمي عن عطاء عن ابن سلام نحوه[1] وعن كعب وهو من علماء اليهود الذين آمنوا بالنبي ﷺ ، قال : « نجد مكتوبا في التوراة محمد رسول الله عبدي المختار ، لا فظٌ ولا غليظ ، ولا سخّاب في الأسواق ، ولا يجزي بالسيئة السيئة ، ولكن يعفو ويغفر ، مولده بمكة ، وهجرته بطيبة ، وملكه بالشام ، وأمته الحمّادون ، يحمدون الله في السراء والضراء ، يحمدون الله في كلّ منزلة ، ويكبرونه على كل شرف ، رعاة للشمس ، يصلُّون الصلاة إذا جاء وقتها ، يتأزرون على أنصافهم ، ويتوضئون على أطرافهم ، مناديهم ينادي في جوّ السماء ، صفهم في القتال ، وصفهم في الصلاة سواء ، لهم بالليل دويٌّ كدويّ النحل » قال التبريزي هذا لفظ المصابيح ورواه الدارمي مع تغيير[2] يسير

أين هذه البشارة في التوراة

وهذه البشارة ليست موجودة في التوراة المنتشرة اليوم بين اليهود والنصارى ، فإن كان المراد بالتوراة التوراة المعينه فتكون هذه البشارة مما اخفته يهود ، وقد تكون مخفية عندهم مما لا يطلع عليه إلّا أحبارهم[3] ، إلّا أنه قد تطلق التوراة ولا يراد بها توراة موسى ، بل يراد بها الكتب المنزلة من عند الله ، وقد يطلق على

---

(١) مشكاة المصابيح ٣/١٢٥ .

(٢) مشكاة المصابيح ٣/١٢٩ .

(٣) الذي يظهر لنا أنّه كان حتى عهد الرسول ﷺ نسخ غير محرفة من التوراة والإنجيل بدلالة قوله تعالى : (وَلْيَحْكُمْ أَهْلُ الإِنْجِيلِ بِمَا أَنْزَلَ اللهُ فِيهِ)، « سورة المائدة/٤٧ » وقوله : ﴿ وَكَيْفَ يُحَكِّمُونَكَ وَعِنْدَهُمُ التَّوْرَاةُ فِيهَا حُكْمُ اللهِ ﴾ « سورة المائدة/٤٣ » وقوله : ﴿ لَسْتُمْ عَلَى شَيْءٍ حتى تُقِيمُوا التَّوْرَاةَ وَالإِنْجِيلَ وَمَا أُنْزِلَ إِلَيْكُمْ مِنْ رَبِّكُمْ ﴾ « سورة المائدة/٦٨ » .

فقد كانت هناك نسخ كثيرة محرفة وبعض النسخ لم يصبها التحريف ، ولكن اليهود كانوا يخفونها ، ولعلّ بعضا من هذه النسخ لا تزال إلى يومنا يخفيها بعض علماء اليهود والنصارى ، ويذكر صاحب كتاب « محمد نبي الإسلام » ص (٤٦) نقلا عن مجلة « الأيكونومست » البريطانية أنّ أوّل عمل يؤديه المرشح لوظيفة في (الكوريا) أي الإدارية المركزية للكنيسة الكاثوليكية هو أن يقسم اليمين المقدسة على كتمان كل شيء يصل إلى علمه أو يقع تحت بصره ، من معلومات خصوصا عن ثروة الكنيسة ومواردها إلى جانب ما يملكه الفاتيكان من تحف وثروة فنية تعتبر من أثمن الثروات في العالم . ولا شك أن عبارة ثروة فنية تشمل مكتبة الفاتيكان الضخمة بما تحويه من كتب في الديانة المسيحية لو تركت للبحث العلمي الحر لألقت أضواءً لامعة على حقبة مجهولة من تاريخ المسيحية في قرونها الأولى المظلمة .

الكتب المنزلة اسم القرآن ، كما في الحديث الصحيح « خفّف على داود القرآن ، فكان ما بين أن يسرج دابته إلى أن يركبها يقرأ القرآن » والمراد به قرآنه وهو الزبور . وجاء في بعض البشارات عن هذه الأمة « أناجيلهم في صدورهم » فسمى القرآن إنجيلا ، وعلى ذلك فهذه البشارة موجودة عندهم في نبوة أشعيا ، فقد جاء فيها : « عبدي الذي سرّت به نفسي ، أنزل عليه وحيي ، فيظهر في الأمم عدلي ، ويوصيهم بالوصايا ، لا يضحك ، ولا يسمع صوته في الأسواق ، يفتح العيون العور ، والآذان الصمّ ، ويحيي القلوب الغلف ، وما أعطيه لا أعطي أحدا ، يحمدالله حمدا جديدا ، يأتي من أقصى الأرض ، وتفرح البريّة وسكانها ، يهللون على كلّ شرف ، ويكبرونه على كلّ رابية ، لا يضعف ، ولا يغلب ، ولا يميل إلى الهوى مشقح ، ولا يذلّ الصالحين الذين هم كالقصبة الضعيفة ، بل يقوّي الصديقين ، وهو ركن المتواضعين ، وهو نور الله الذي لا ينطفي ، أثر سلطانه على كتفيه »[1] .

---

(١) الجواب الصحيح لابن تيمية (٢٨١/٣) .

خبر ابن الهيبان

ومما حفظته لنا كتب السنة عن علماء اليهود قبل الإسلام أن رجلا من اليهود كان يدعى ابن الهيبان قدم المدينة ونزل في يهود بني قريظة قبل الإسلام بسنين ، قال راوي القصة : ما رأينا رجلا قط لا يصلي الخمس أفضل منه ، فأقام عندنا إذا قحط عنا المطر قلنا له : اخرج يا ابن الهيبان فاستسق لنا ، فيقول : لا والله حتى تقدموا بين مخرجكم صدقة ، فنقول له : كم ؟ فيقول : صاعاً من تمر ، أو مديّن من شعير ، قال : فنخرجها ، ثمَّ يخرج بنا إلى ظاهر حرثنا ، فيستسقي لنا ، فوالله ما يبرح مجلسه حتى يمر السحاب ويسقي ، وقد فعل ذلك غير مرة ولا مرتين ولا ثلاثا .

قال : ثمَّ حضرته الوفاة عندنا ، فلمّا عرف أنّه ميت قال : يا معشر يهود ، ما ترونه أخرجني من أرض الخمر والخمير إلى أرض البؤس والجوع ؟ قال : قلنا : الله أعلم .

قال : فإنّي إنّما قدمت هذه البلدة أتوكف خروج نبي قد أظلَّ زمانه ، هذه البلدة مهاجره ، فكنت أرجو أن يبعثه الله ، فأتبعه ، وقد أظلّكم زمانه فلا تسبقنّ إليه يا معشر يهود ، فإنّه يبعث بسفك الدماء ، وسبي الذراري ، فيمن خالفه ، فلا يمنعنكم ذلك منه ، وقد انتفع بوصية ابن الهيبان مجموعة من شباب يهود بني قريظة ، وهم ثعلبة بن سعيه ، وأسيد بن سعيه ، وأسد بن عبيد ، فإنّ الرسول ﷺ ـ لما حاصر بني قريظة ـ قال هؤلاء الفتية وكانوا شبابا أحداثا : يا بني قريظة ،

والله إنّه للنبي الذي عهد إليكم ابن الهيبان ، قالوا : ليس به ، قالوا : بلى ، إنّه لهو صفته ، فنزلوا ، فأسلموا فأحرزوا دماءهم وأموالهم ورحالهم[1] .

فلما جاءهم ما عرفوا كفروا به

وروى أبو نعيم في دلائل النبوة باسناده عن محمد بن سلمة ، قال : لم يكن في بني عبد الأشهل إلا يهودي واحد ، يقال له : يوشع ، فسمعته يقول ـ وإني لغلام في إزار ـ قد أظلّكُم خروج نبي يبعث من نحو هذا البيت ، ثمَّ أشار بيده إلى بيت الله ، فمن أدركه فليصدّقْه ، فبعث رسول الله فأسلمنا وهو بين أظهرنا ، لم يسلم حسدا وبغيا[2].

انتفاع عبد الله بن سلام بعلمه

وقد كان عبد الله بن سلام سيد اليهود وأعلمهم وابن سيدهم وأعلمهم ، قال : لما سمعت برسول الله وعرفت صفته واسمه وهيئته وزمانه الذي كنا نتوكف له ، (نتوكف : ننتظر) فكنت بقباء مسرّا صامتا عليه ، حتى قدم رسول الله ـ ﷺ ـ المدينة ، فلمّا قدم نزل بقباء في بني عمرو بن عوف ، فأقبل رجل حتى أخبر بقدومه ، وأنا في رأس نخلة لي أعمل فيها ، وعمتي خالدة بنت الحارث تحتي جالسة ، فلما سمعت الخبر بقدوم رسول الله ﷺ كبّرت ، فقالت عمتي حين سمعت تكبيري : لو كنت سمعت بموسى بن عمران ما زدت ، قال : قلت لها : أي عمّة ، والله هو أخو موسى بن عمران ، وعلى دينه بعث بما بعث به .

قال : فقالت : يا ابن أخي أهو الذي كنّا نخبر أنّه يبعث مع الساعة ؟ قال : قلت : نعم . قالت : فذاك إذاً[3] . .

وقد ذكر البخاري قصة مجيء عبد الله بن سلام إلى الرسول ﷺ واسلامه وطلبه من الرسول ﷺ أن يرسل إلى اليهود ويسألهم عنه قبل أن يعلموا بإسلامه ،

---

(١) البداية والنهاية ١/٣١٠ .

(٢) البداية والنهاية ٢/٣٠٩ .

(٣) ابن اسحاق في السيرة (البداية ٣/٢١١)

فلما جاءوا قال لهم الرسول ﷺ : « يا معشر يهود ، ويلكم اتقوا الله ، فوالله الذي لا إله إلاّ هو إنّكم لتعلمون أنّي رسول الله حقّا ، وأنّي جئتكم بحقٍّ ، فأسلموا » قالوا ما نعلمه ، قال : « فأي رجل عبد الله بن سلام فيكم » ؟ قالوا : ذاك سيدنا وابن سيدنا ، وأعلمنا وابن أعلمنا ، قال : « أفرأيتم إنْ أسلم ، قالوا : حاش لله ما كان ليسلم ، قال : « يا ابن سلام ، اخرج عليهم » ، فخرج ، فقال : يا معشر يهود ، اتقوا الله الذي لا إله إلاّ هو ، إنّكم لتعلمون أنّه رسول الله ، وأنّه جاء بالحقّ . فقالوا : كذبت . فأخرجهم رسول الله ﷺ[1] .

شهادة غلام يهودي

وروى أنس بن مالك أنّ غلاما يهوديا كان يخدم النبيَّ ﷺ ، فمرض ، فأتاه رسول الله ﷺ يعوده ، فوجد أباه عند رأسه يقرأ التوراة ، فقال له رسول الله ﷺ : « يا يهودي أنشدك بالله الذي أنزل التوراة على موسى ، هل تجد في التوراة صفتي ومخرجي ؟ قال : لا .

قال الفتى : بلى والله يا رسول الله ، إنّا لنجد في التوراة نعتك ومخرجك ، وإنّي أشهد أن لا إله إلاّ الله وأنّك رسول الله » رواه البيهقي بإسناد صحيح[2] .

---

(١) البداية ٣/٢١١ .

(٢) الجواب الصحيح (٣/٢٨٧) .

فراسة راهب

وقد تعرف على الرسول ﷺ أحد الرهبان وهو صغير ، عندما كان في تجارة مع عمّه أبي طالب إلى الشام ، روى أبو موسى قال : خرج أبو طالب إلى الشام ، وخرج معه النبيّ ﷺ في أشياخ من قريش ، فلمّا أشرفوا على الراهب هبطوا ، فحلّوا رحالهم ، فخرج إليهم الراهب ، وكانوا قبل ذلك يمرون به فلا يخرج إليهم ، قال : فهم يحلّون رحالهم ، فجعل يتخللهم الراهب ، حتى جاء فأخذ بيد رسول الله ﷺ ، قال : هذا سيّد العالمين ، هذا رسول ربِّ العالمين ، يبعثه الله رحمة للعالمين .

فقال له أشياخ من قريش : ما علمك ؟ فقال : إنّكم حين أشرفتم من العقبة لم يبق شجر ولا حجر إلّا خّر ساجدا ، ولا يسجدان إلّا لنبيّ ، وإني أعرفه بخاتم النبوة أسفل من غضروف كتفه مثل التفاحة ، ثمَّ رجع فصنع لهم طعاما ، فلمّا أتاهم به ، وكان هو في رعية الإبل ، فقال : أرسلوا إليه ، فأقبل وعليه غمامة تظلّه ، فلما دنا من القوم وجدهم قد سبقوه إلى فيء الشجرة ، فلمّا جلس مال فيء الشجرة عليه ، فقال انظروا إلى فيء الشجرة مال عليه[1] .

---

(١) الحديث رواه الترمذي وقال : حديث حسن غريب . (انظر مشكاة المصابيح ٣/١٨٧) وقال الشيخ ناصر في تعليقه على الحديث في المشكاة : رجاله ثقات ، والحديث صحيح كما بينته في مقال نشرته في « مجلة التمدن الإسلامي » .

معرفة علماء اليهود بموعد خروج النبي ﷺ

عندما اقترب موعد خروج المصطفى ﷺ علم أهل الكتاب بذلك بأمارات كانت عندهم ، وروى أبو زرعة بإسناد صحيح عن أسامة بن زيد عن أبيه زيد بن حارثة أن الرسول ﷺ التقى بزيد بن عمرو بن نفيل قبل البعثة ، وكان مما أخبر به زيد الرسول ﷺ أنه رحل في طلب الدين الحق دين التوحيد فقال له حبر في الشام : إنك لتسأل عن دين ما نعلم عليه أحدا يعبد الله به إلاّ شيخ بالجزيرة .

قال فخرجت : فقدمت عليه ، فأخبرته بالذي خرجت له ، فقال : إن كلّ من رأيت في ضلالة ، ممّن أنت ؟

قلت : أنا من أهل بيت الله ، ومن أهل الشوك والقرظ .

فقال : إنه قد خرج في بلدك نبيّ ، أو خارج ، قد خرج نجمه ، فارجع فصدقه واتبعه ، فرجعت فلم أحسّ شيئا بعد[1] .

كان زيد يحدّث بهذا الرسول ﷺ قبل بعثته ، ولم يكن يعلم أنَّ الذي يحدثه هو الرسول الذي ظهر نجمه ، ومات زيد قبل البعثة بسنوات .

وقد سبق ذكر خبر ابن الهيبان ، الذي خرج من الشام إلى المدينة ، فقد قال لليهود عندما حضرته الوفاة : « إنّما أخرجني توقع خروج نبيّ قد أظلّ زمانه ، هذه البلاد مهاجره » .

وفي صحيح البخاري أن هرقل كان حزّاءً ينظر في النجوم ، فنظر فقال : إن ملك الختان قد ظهر .

---

(١) الجواب الصحيح ٣/٢٨٥ .

ثالثاً : النظر في أحوال الأنبياء

إذا شئت أن تسبر غور إنسان ، وتتعرف على صدقه وأمانته ، فإنّك تنظر في قسمات وجهه ، وتحصي عليه أفعاله وأقواله ، وتراقب حركاته وسكناته ، والذين يستغلق عليك أن تصل في شأنهم إلى اليقين هم أولئك الذين لا تقابلهم إلا مقابلة سريعة ، أو أولئك الذين يخفون أنفسهم ، ويتكلفون في أقوالهم وأفعالهم فلا يظهرون على طبيعتهم .

والأنبياء والرسل كانوا يخالطون أقوامهم ، ويجالسونهم ويعاشرونهم ، ويعاملونهم في أمور شتى ، وبذلك يتسنى للناس أن يدرسوهم عن كثب ، ويتعرفوا إليهم عن قرب ، ولقد كانت قريش تسمي رسول الله ـ ﷺ ـ قبل بعثته بالأمين ، وذلك لصدقه وأمانته ، وعندما قال لهم الرسول ـ ﷺ ـ في مطلع الدعوة : لو أخبرتكم أنَّ وراء هذا الوادي خيلا تريد أن تغير عليكم أكنتم مصدقي ؟ قالوا : ما جربنا عليك كذبا « رواه البخاري » وقد أرشد القرآن إلى هذا النوع من الاستدلال ﴿ **قُلْ لَوْ شَاء اللهُ مَا تَلَوْتُهُ عَلَيْكُمْ وَلاَ أَدْرَاكُمْ بِهِ ، فَقَدْ لَبِثْتُ فِيكُمْ عُمُرَاً مِنْ قَبْلِهِ ، أَفَلاَ تَعْقِلُونَ** ﴾ « سورة يونس /١٦ » .

يقول لهم لقد مكثت فيكم زمنا ليس باليسير قبل أن أخبركم بأنني نبي ، فكيف كانت سيرتي فيكم ؟ وكيف كان صدقي إيَّاكم ؟ أفأترك الكذب على الناس ، وأكذب على ربّ الناس ، (أفلا تعقلون) ؟ الا تعملون عقولكم لتهديكم إلى الحق ؟ !

إن المعدن الجيد يدلُّ على نفسه بنفسه ، والفاكهة الصالحة يدلُّ على صلاحها لونها وشكلها ورائحتها وطعمها ، والمصباح الرائع ضوءه يهدي إليه ﴿ يَكَادُ زَيْتُهَا يُضِيءُ وَلَوْ لَمْ تَمْسَسْهُ نَارٌ ، نُورٌ عَلَى نُورٍ ، يَهْدِي اللَّهُ لِنُورِهِ مَنْ يَشَاءُ ﴾ . « سورة النور/٣٥ » .

بعض الناس لم يحتج إلى برهان ودليل ليستدل بذلك على صدق الرسول ﷺ ، لأنَّ شخصه وحياته وسيرته هي أعظم دليل ، ومن هؤلاء أبو بكر الصديق ، فإنَّ الرسول ـ ﷺ ـ عندما دعاه لم يتردد . ونظر عبد الله بن سلام في وجه الرسول ﷺ نظرة واحدة ، ولكنَّها كانت كافية لتدلّه على أنَّ هذا وجه صادق ليس بكاذب ، قدم الرسول ـ ﷺ ـ المدينة ، وخرج عبد الله بن سلام عالم اليهود مع الخارجين ينظر في وجه الرسول ـ ﷺ ـ قال : « فلما رأيت وجهه علمت أن وجهه ليس بوجه كذّاب »[1] .

وخديجة التي عرفت الرسول زوجا وخالطته عن قرب قبل أن تعرفه نبيّا رسولا ، لم تتردد في أنَّ الله لن يخزيه أبدا ، ولن يصيبه ضير ، ذلك أنَّ سنة الله في أمثال الرسول ﷺ أن يكرّموا ويشرّفوا ، ولذلك قالت له عندما جاءَها قائلا : لقد خشيت على نفسي وذلك بعد أن فجأه الوحي في غار حراء قالت : « كلّا والله لا يخزيك الله أبدا ، إنّك لتصل الرحم ، وتحمل الكلّ ، وتكسب المعدوم ، وتقري الضيف ، وتعين على نوائب الحق »[2] .

هرقل وأبو سفيان

وقد أعمل هرقل ملك الروم عقله وفكره وعلمه بأحوال الرسل وصفاتهم ، فاهتدى إلى أنَّ محمدا مرسل من ربّه ، ولكنه لم يؤمن ضنّا بملكه .

أرسل الرسول ﷺ إلى ملوك الأرض في عصره يدعوهم إلى الإسلام ، وكان هرقل ملك الروم من هؤلاء الذين أرسل إليهم ، فلما جاءَه كتاب الرسول ﷺ

---

(١) رواه أحمد في مسنده والترمذي في سننه وقال حديث صحيح وابن ماجه في سننه (البداية والنهاية ٣/ ٢١٠) .
(٢) صحيح البخاري (فتح الباري ١/ ٢٢) .

طلب من كان هناك من العرب ، وكان أبو سفيان قد قدم في طائفة من قريش في تجارة إلى الشام ، وسألهم عن أحوال النبيّ ﷺ ، فسأل أبا سفيان ، وأمر الباقين إن كذب أن يكذبوه ، فصاروا بسكوتهم موافقين له في الأخبار .

وإليك الحوار الذي جرى بينهما يحكيه أبو سفيان .

« كان أول ما سألني عنه أن قال : كيف نسبه فيكم ؟

قلت : هو فينا ذو نسب .

قال : فهل قال هذا القول منكم أحد قط قبله ؟

قلت : لا .

قال : فهل كان من آبائه مِنْ مَلِك ؟

قلت : لا .

قال : فأشراف النّاس يتبعونه أم ضعفاؤهم ؟

فقلت : بل ضعفاؤهم .

قال : أيزيدون أم ينقصون ؟

قلت : بل يزيدون .

قال : فهل يرتدّ أحد منهم سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟

قلت : لا .

قال : فهل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟

قلت : لا .

قال : فهل يغدر ؟

قلت : لا ، ونحن في مدّة لا ندري ما هو فاعل فيها ، قال : ولم تمكنّي كلمة أدخل فيها شيئا غير هذه الكلمة .

قال : فهل قاتلتموه ؟

قلت : نعم .

قال : فكيف الحرب بينكم وبينه ؟

قلت : الحرب بيننا وبينه سجال ، ينال منّا وننال منه .

قال : فماذا يأمركم ؟

قلت : يقول : اعبدوا الله وحده ، ولا تشركوا به شيئا ، واتركوا ما يقول آباؤكم ، ويأمرنا بالصلاة والصدق ، والعفاف والصلة .

فقال للترجمان :

قل له : سألتك عن نسبه ، فذكرت أنّه فيكم ذو نسب ، فكذلك الرسل تبعث في نسب قومها .

وسألتك هل قال أحد منكم هذا القول ؟ فذكرت أن لا ، فقلت : لو كان أحد قال هذا القول قبله لقلت رجل يأتسي بقول قيل قبله .

وسألتك هل كان من آبائه من ملك ؟ فذكرت أن لا ، قلت : فلو كان من آبائه مَلِك قلت رجل يطلب ملك أبيه .

وسألتك هل كنتم تتهمونه بالكذب قبل أن يقول ما قال ؟ فذكرت أن لا ، فقد أعرف أنّه لم يكن ليذر الكذب على الناس ، ويكذب على الله .

وسألتك أشراف الناس اتبعوه أم ضعفاؤ هم ؟ فذكرت أن ضعفاؤ هم اتبعوه ، وهم أتباع الرسل ، وسألتك أيزيدون أم ينقصون ؟ فذكرت أنهم يزيدون ، وكذلك أمر الإيمان حتى يتمَّ .

وسألتك أيرتد أحد سخطة لدينه بعد أن يدخل فيه ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الإيمان حين تخالط بشاشته القلوب .

وسألتك هل يغدر ؟ فذكرت أن لا ، وكذلك الرسل لا تغدر .

وسألتك بما يأمركم ؟ فذكرت أنه يأمركم أن تعبدوا الله ولا تشركوا به شيئا ، وينهاكم عن عبادة الأوثان ، ويأمركم بالصلاة والصدق والعفاف .

فإن كان ما تقول حقًا فسيملك موضع قدميَّ هاتين ، وقد كنت أعلم أنه خارج ، لم أكن أظنُّ أنّه منكم ، فلو أعلم أنّي أخلص إليه لتجشمت لقاءَه ، ولو كنت عنده لغسلت عن قدمه[1] .

---

(١) رواه البخاري في صحيحه ، كتاب بدء الوحي انظر فتح الباري ٣١/١ .

زهدهم في المتاع الدنيوي

ومما يدلُّ على صدق الرسل من خلال التأمل في سيرتهم ، أنَّ الرسل أزهد النّاس في متاع الدنيا وعرضها الزائل ، وبهرجها الكاذب ، لا يطالبون النّاس الذين يدعونهم أجرا ولا مالا ، فهم يبذلون لهم الخير لا ينتظرون منهم جزاءً ولا شكورا ، هذا أوّل الرسل يقول لقومه : ﴿ **وَيَا قَوْمِ لاَ أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مَـالاً إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى اللّهِ** ﴾ « سورة هود/٢٩ » .

وهذا آخر الرسل يأمره الله بمثل ذلك : ﴿ **قُلْ مَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ مِنْ أَجْرٍ إِلاّ مَنْ شَاءَ أَنْ يَتَّخِذَ إِلَى رَبِّهِ سَبِيلاً** ﴾ « سورة الفرقان /٥٧ » .

وقص الله علينا في سورة الشعراء طرفاً من قصة نوح وهود وصالح ولوط وشعيب وكلّ منهم يقول لقومه : ﴿ **وَمَا أَسْأَلُكُمْ عَلَيْهِ من أَجْرٍ ، إِنْ أَجْرِيَ إِلاّ عَلَى رَبِّ العَالَمِينَ** ﴾ .

رَابعَاً : دَعوَةُ الـرّسُـلِ

النظر في دعوة الرسل مجال خصب يدلنا على مدى صدقهم ، فقد جاءت الرسل بمنهج متكامل لإصلاح الإنسان ، ولإصلاح المجتمع الإنساني ، ودين كهذا يقول الذين جاؤوا به إنّه منزل من عند الله لا بدَّ أن يكون في غاية الكمال ، خاليا من النقائص والعيوب، لا يتعارض مع فطرة الإنسان، وسنن الكون، وقد وجهنا القرآن إلى هذا النوع من الاستـدلال ، فقال : ﴿وَلَوْ كَانَ مِنْ عِنْدِ غَيْرِ اللهِ لَوَجَدُوا فِيهِ اخْتلاَفاً كَثِيراً﴾ « سورة النساء/ ٨٢ » .

فكونه وحدة متكاملة يصدق بعضه بعضا ، لاتناقض فيه ولا اختلاف ـ دليل واضح على صدق الذي جاء به .

والنظر في المقاصد التي تـدعو إليها الرسل ، والفضائل والقيم التي يُنادون بها كلُّ ذلك من أعظم الأدلة على صدقهم ، وقد قال الله تعالى : ﴿إِنَّ هَذَا الْقُرْآنَ يَهْدِي لِلَّتِي هِيَ أَقْوَمُ﴾ « سورة الإسراء/ ٩ » .

ولقد ألّف العلماء مؤلفات في بيان كمال هذا الدين وشموله وبيان حكمة التشريع ، وبيان القواعد والأسس التي تجعل هذا الدين بناء محكما ، يردد النّاس النظر فيه فلا يجدون فيه عيبا ولا نقصا .

وقد ميز الله البشر بالعقل ، وأودع عقولهم إدراك قبح القبيح ، وإدراك حسن الحسن ، إلّا أنَّ رحمته جلَّ وعلا اقتضت ألّا يعذب خلقه على تركهم الحسن وفعلهم القبيح ما لم يقم عليهم الحجّة بإرسال الرسل .

وقد سئل اعرابيٌّ : بم عرفت أنَّ محمدا رسول الله ؟ فقال : ما أمر بشيء فقال العقل : ليته ينهى عنه ، ولا نهى عن شيء ، فقال العقل : ليته أمر به[1] .

وهذا الذي استدل به الأعرابي في غاية الجودة ، فإن الرسل جاءَت من عند الله بعلوم وشرائع يعلم العاقل المنصف عند التأمل فيها أنّه لا يمكن أن تكون آراء البشر ولا أفكارهم .

دعوة نبينا محمد ﷺ

والناظر في دعوة نبينا محمد ﷺ يكون مكابرا أعظم المكابرة إن لم يعتبر ولم يؤمن ، فنبينا عليه السلام جاء بهذا القرآن الذي عجزت الإنس والجنُّ عن الاتيان بمثله ، وقد حوى من الاخبار الماضية والآتية ، والعلوم المختلفة مايخضع المنصف ، ويجعله يسبح بحمد الله طويلا .

هذا الكتاب وتلك العلوم تصل إلينا على يد رجل أميّ ، لم يمسك بالقلم يوما ، ولم يكن يقرأ ما سطره العلماء والكتاب من قبل ﴿وَمَا كُنْتَ تَتْلُو مِن قَبْلِهِ مِنْ كِتَابٍ وَلَا تَخُطُّهُ بِيَمِينِكَ ، إِذاً لَارْتَابَ الْمُبْطِلُونَ﴾ « سورة العنكبوت/٤٨ » ليس أمرا عاديا أن يتحول رجل أميّ بين عشية وضحاها إلى معلم بشريّة ، يبذل العلم للناس ، ويقوّم علوم السابقين ، ويبين ما فيها من تحريف وتغيير .

لقد كان هذا الدليل يجول في نفوس أهل مكة ، فهم يعرفون محمدا ﷺ قبل أن يـأتيهم بما أتاهم به ، ويعلمون أميته ، ولذلك لم يكن منهم إلا التمحل وجحود الحقّ بعد معرفته ﴿فإنَّهم لَا يُكَذِّبُونَكَ ، وَلَكِنَّ الظَّالِمِينَ بِآيَاتِ الله يَجْحَدُونَ﴾ « سورة الأنعام/٣٣ » لقد وصلت بهم السفاهة إلى الزعم بأنَّ الذي يأتي محمدا ﷺ بهذا العلم حداد رومي كان بمكة ، وإنه لفرية مضحكة ﴿لِسَانُ الَّذِي يُلْحِدُونَ إِلَيْهِ أَعْجَمِيٌّ ، وَهَذا لِسَانٌ عَرَبِيٌّ مُبِينٌ﴾ « سورة النحل/١٠٣ » .

---

(١) مفتاح دار السعادة ٢/٦ - ٧

خامسًا : تأييدُ اللهِ لِرسُلِهِ ونصرتُه لَهُم

ومما يدلنا على صدق الأنبياء والمرسلين نصرة الله لهم وحفظه إياهم ، فإنّه يستحيل على الله تعالى أن يتقول عليه متقول ، فيدعي أنّه مرسل من عند الله وهو كاذب في دعواه ، ثمَّ بعد ذلك يؤيده الله وينصره ، ويرسل الملائكة لتثبيته وحمايته ، لو فعل هذا ملك من ملوك الأرض ، فادعى مدع أنّه مرسل من قبله كذبا وزورا ، وعلم بذلك الملك المفترى عليه ، فإنّه سيلاحقه ، وإذا ظفر به فسيوقع به أشدَّ العذاب ، فكيف يليق بخالق الكون العليم الحكيم أن يرى ويسمع رجلا يكذب عليه ويزعم أنّه رسوله ، ويحلل باسمه ويحرم ، ويشرع الشرائع ، ويضرب الرقاب ، ويزعم أنه يفعل ذلك بأمر الله وبرضاه ومشيئته ، ثم يؤيده الله وينصره ، ولا يوقع به عقابه وعذابه ؟ هذا لا يكون ابدا ، وإن وقع مثل هذا من كاذب مارق وظهر أمره ، وقويت شوكته يوما ، فلن يطول ذلك ، ولا بدَّ أن يكشف الله أمره ، ويهتك ستره ، ويسلط عليه من يقهره ، ويجعله عبرة لغيره ، كما فعل الله بمسيلمة وسجاح والأسود العنسي من قبل[1] .

وقد أشار الله تعالى لهذا النوع من الاستدلال فقال : ﴿**إِنَّ الَّذِينَ يَفْتَرُونَ عَلَى اللهِ الْكَذِبَ لاَ يُفْلِحُونَ**﴾ « سورة النحل / ١١٦ » فحكم عليهم بعدم الفلاح ، وقال : ﴿**وَلَوْ تَقَوَّلَ عَلَيْنَا بَعْضَ الأَقَاوِيلِ ، لأَخَذْنَا مِنْهُ بِالْيَمِينِ ، ثُمَّ لَقَطَعْنَا مِنْهُ**

---

(١) راجع شرح العقيدة الطحاوية ص ١٦٥ - ١٦٧ وقد استدل بشيء قريب من هذا ابن القيم في كتابه هداية الحيارى انظر الجامع (ص ٥٦٢)

﴿الْوَتِينَ﴾ « سورة الحاقة/ ٤٤ ـ ٤٦ » والمعنى أنَّ الرسول ﷺ لـو تقوَّل على الله ما لم يقله الله لأهلكه الله .

وهذا الدليل ذو تأثير كبير على نفوس الناس ، فإن العرب لمّا رأت انتصار الإسلام صدقت وآمنت ودخلت في دين الله أفواجا ﴿إِذَا جَاءَ نَصْرُ اللهِ وَالْفَتْحُ وَرَأَيْتَ النَّاسَ يَدْخُلُونَ فِي دِينِ اللهِ أَفْوَاجاً﴾ « سورة النصر/١ ـ ٢ » .

شبهة

وما يذكره بعض المكذبين برسالة محمد ﷺ من أنَّ النصر تمَّ لفرعون ونمرود وجنكيزخان وغيرهم من الملوك الكفرة في القديم والحديث ، جوابه ظاهر ، فإن هؤلاء لم يدع أحد منهم النبوة ، وأن الله أمره أن يدعو إلى عبادته وطاعته ، ومن أطاعه دخل الجنّة ، ومن عصاه دخل النار بخلاف من ادعى أن الله أرسله ، ثمَّ يؤيده الله وينصره ، وينصر أتباعه ويجعل العاقبة لهم فـإنّه لا يكون إلاّ رسولا صادقا ، فلو كان كاذبا فلا بدَّ أن ينتقم الله منه ، ويقطع دابره ، واعتبر في هذا بحال مسيلمة والأسود العنسي وسجاح ، واعتبر هذا بحال المسيح الدجال ، فإنّه يفتري على الله الكذب ويدعي الألوهية ، فيكشف الله ستره ، ويظهر أمره لمن كان عنده بصيرة ، فهو رجل أعور ، مكتوب بين عينيه كافر ،وإنّما يلتبس أمره على من لم يرزق نور الإيمان .